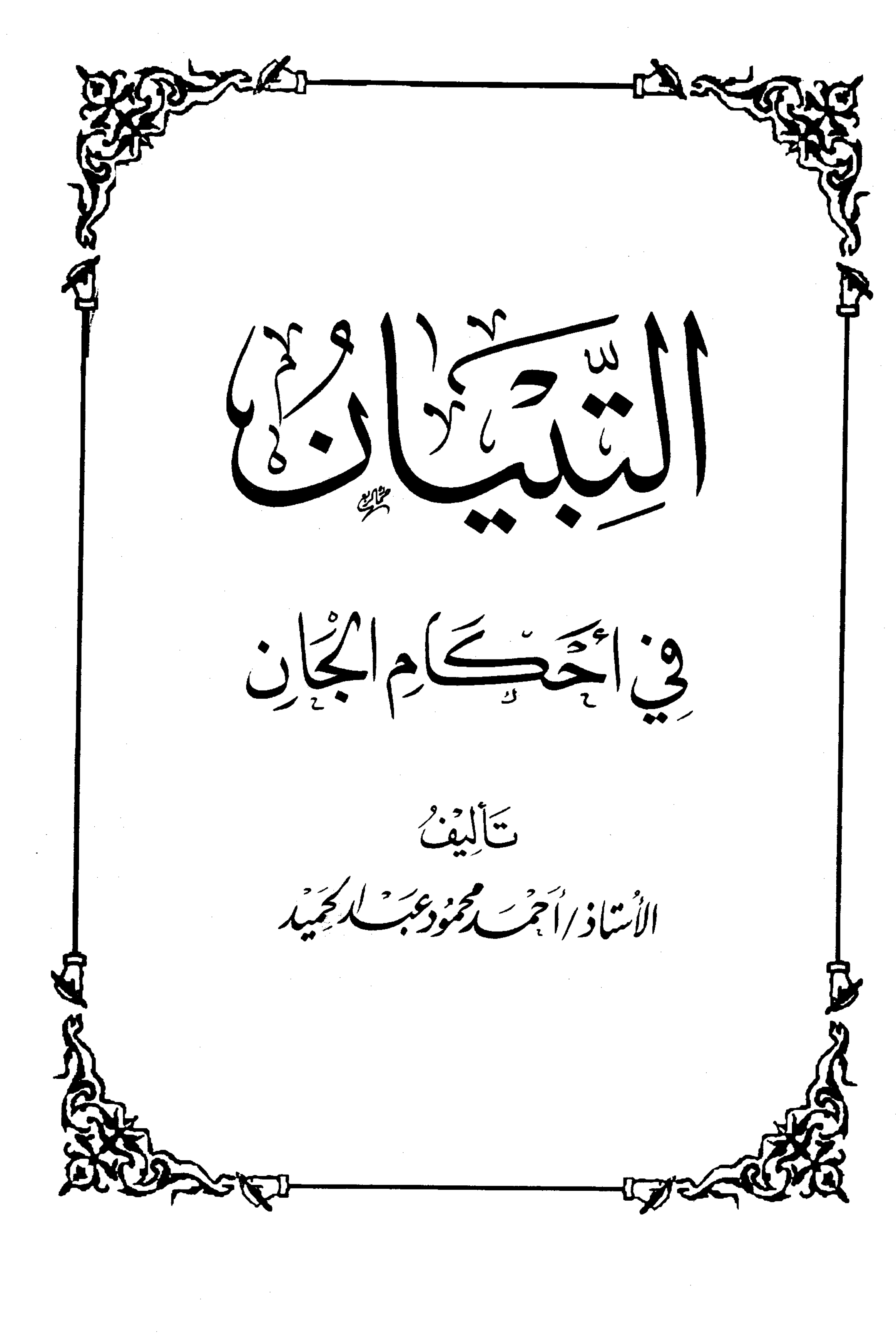


التبيان

في أحكام الجان

تأليف

الأستاذ / أحمد محمود عبد الحميد

رقم الإيداع:

٢٣٩١٧ / ٢٠٠٧

الطبعة الأولى

٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ

صف وإخراج

مكتب الفا للتحقيق والتأليف والصف والإخراج

٥٨ ش صلاح الدين ناصف - الهرم

ت: ٣٨٨٨٥٩٣ - ٠١٠١٠٩٩٨٠٥

الناشر: شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع

٣٠٦ طريق المريوطية – عمارات الخليج – البرج الثالث

الدور الخامس - الهرم - الجيزة - مصر

تليفاكس: ٠٠٢٠٢٧٤٤٧٠٥٢ محمول: ٠٠٢٠١٠٦٣٠٠٠٢٦

Email: alfa_eg@yahoo.com
alfa_eg@hotmail.com

ألفا للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

حِكَمٌ واقاويلُ اعْجَبَتْنِي

* جيلٌ لا ترتفعُ فيه المثلُ الطيّبةُ، والمعجبونَ فيه بالفضيلة أَكثر من أتباعِها - جيلٌ لا يَستحقُّ أن يعيشَ، ولو لحظةً واحدةً.

* حسبُك من السعادة في الدنيا ضمير نقيٌّ، ونفسٌ هادئةٌ، وقلبٌ شريف.
(المنفلوطي)

* العدالةُ قد تنامُ لحكمةٍ، ولكنّها لا تموتُ أبدًا.

* الكذِبُ ليس له أرجلٌ، والفضيحةُ لها أجنحةٌ.

* إذا دفعتَ ثمنَ المعرفةِ، فلنْ تنسى أبدًا.

* الإنسانُ لا يصنع الأصدقاءَ، وإنَّما يكتشفُهم.

* الإنسان قد يُشفق على جريح، ولكنه لا يُحسُّ ألم الجُرح إلا إذا أصابه.

* شعاعٌ من رضا اللهِ يُطفِئ غضبَ ملوكِ أهل الأرضِ، ولمحةٌ من غضبِه تجعلُ الحليم حيران.

* ذَهَبَ مَنْ أَحبَّ الذَّهَبَ، وانفضَّ مَنْ أَحبَّ الفِضَّةَ.

* في بعضِ المواقفِ [قَدْ] يكونُ الصمتُ أَعظمَ من الكلام.

* تكلَّم مالكُ بنُ دينارٍ، فأبكى أصحابَهُ، ثم فَقَدَ مُصْحَفَه، فنظرَ في وجوه أصحابه وهم يبكون، فقال: ويحكم! كُلُّكم يَبْكِي، فمن أخذ المُصحفَ؟!

* أنتَ للمالِ إذَا أمسكْتَه فإذا أنفقتَهُ فالمالُ لَكْ.

* أَوْرَدَها سعدٌ وسعدٌ مُشتملْ. . ما هكذا يا سعدُ توردُ الإبلْ.

(النوار بنت جل بن عدي)

* إذَا اجتمعَ على الإنسانِ قلبُه وقتَ الدُّعاءِ، وصدقتْ ضرورتُه، وقَوي رجاؤه، فلَا يَكاد يُرَدُّ دعاؤه.

* الخُلُقُ الحسن هو الشعور بأنك مسئول أمام الله عمّا يجب أنْ تفعل، فإذا أنت تخلّيت يومًا عن هذا الشعور تخلّيت عن الخُلُق الحسن، كما تتخلّى الشجرة عن أوراقِها أيّامَ الشتاء.

* كثير من الناس لا ينقصهم الدليل الموصِّلُ إلى الحق، وإنما الذي ينقصهم حقًّا هو حسن النية.

* الأَدبُ منزلةٌ بين الابتذالِ والتعقيد، والكرمُ منزلةٌ بين البُخل والإسراف، والشجاعة منزلة بين الجُبن * والتهوُّر.

* متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا.

(عُمَرُ بن الخَطاب).

* لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب، وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد، فإنّما الناس رجلان: مُبتلى ومُعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية.

* المرء يسرُّه إدراك ما لم يكن ليفوته، ويسوءه فوْتُ ما لم يكن ليُدركه، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها. وما نلت من أمر دُنياك فلا تكن به فَرِحًا، وما فاتك منها فلا تأس عليه جَزَعًا، وليكن همُّك ما بعد الموت.

* لن تنال ما تريد إلّا بترك ما تشتهي، ولن تنال ما تأمُل إلّا بالصبر على ما تكره. فليكن كلامك ذكرًا، وصمتك فكرًا، ونظرك عِبرًا، فإنّ الدنيا تتقلّب، وبهجتها تتغيّر، فلا تغترّ بها، وليكن بيتك المسجد.

* الرجال أربعة: رجل يدري، ويدري أنه يدري فسلوه، ورجل يدري، ولا يدري أنه يدري فذاك ناسٍ فَذَكِّروه، ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري، فذلك مسترشد فعلّموه، ورجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فذلك جاهل فارفضوه.

* إذا أردت أن تكون عالمًا، فاقصد فنًا من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبًا، فخذ من كل شيء أحسنَهُ.

* إذا كان من الأمانة للبحث العلمي ألا نبخس الناس أشياءهم، فمن الأمانة كذلك ألَّا نعطيهم فوق ما يستحقون.

(سيد قطب).

إن حقيقة أي شيء أقوى من مظهر أى شيء، ولو كانت هي حقيقة الكفر، وكان هو مظهر الإيمان.

(سيد قطب).

۞ ۞ ۞

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي كلُّ نعمة منه فضلٌ، وكلُّ نقمةٍ منه عدلٌ، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعدُ:

فحسبي أن أكون إنسانًا حتّى أُخطئ وأنسى وأسهو، تلك مسلّمة.

ولذلك فقد دعتني رسالتي هذه - حينما أردت إعادة طبعها- إلى مراجعتها وتنقيحها وتزويدها بما فاتني في الطبعة الأولى مما يخص ما احتوت عليه تلك الرسالةُ من عرض وتحليل ونقد، مما جعل هذه الطبعة أشمل من الطبعة الأولى وأدق وأوضح. بل هي المعتمدة عندي والحمد لله أولاً وآخرًا.

ولا يفوتني في هذه الكلمة أن أقدّم اعتذارًا خالصًا إلى ذات النحو العربيّ، لإحساسي بأني قد أسأت إليه في الطبعة السابقة، ولعلّي قد رددت إليه في هذه الطبعة كرامته التي قد أكون أهدرتها في الطبعة السابقة دون قصد مني إلى إهدارها.

ولست أشك في أنني مهما تحرّيت الدقة في التعبير الكتابي، فلن أسلم من الخطأ؛ فأهل اللغة تكلموا وكتبوا بها سليقة، ونحن نتكلم ونكتب بها تعلمًا وقواعِدَ حتى تصير لنا سليقةً، فليسا معني النحو إن أسأت إليه في هذه الطبعة أيضًا دون قصد مني إلى إساءته، فلست أعرف إنسانًا يُحب إكرام النحو العربي والمحافظة عليه كما أحب أنا، فاللهم عونك!

وكتبها

أحمد محمود عبد الحميد

في ٢٣ / شعبان / ١٤٢٨ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعد فللطبيعة أَسرار خفيّة تكشف لنا عن نفسها جيلاً بعد جيل، بإذن من الله خالقها، وتنقيب الباحثين فيما وراء الطبيعة قد يُخْرِجُ إلى البشريَّة ما تُؤكّده العقول والأبحاث في زمن ما، ولكن قد تنفيه عقول وأبحاث في أزمان لاحقة، فتُبيِّن بما لا يدع مجالاً للشك خطأ من سبقوهم من الباحثين، وضلالهم فيما اعتقدوا أنه هو الصحيح الذي لا يقبل النقد، وتلك سُنّة من سنن الطبيعة التي خلقها الله.

وملاحظٌ جليًا أن كلام الناس عن الجن وما يحدثونه من مسٍّ وغيره - قد كثر في الآونة الأخيرة بشكل غير مقبول، ولا يخفى أن الكلام فيما هو غيب يجد عند الناس قبولاً عظيمًا بطبيعة الحال، فيجد الكلام فيه آذانًا مُصغية، مع ما قد يكون في الكلام من تُرَّهات(١) وأباطيل وأكاذيب، تُعمِّي على قطاع كبير من الناس وجه الحق، فلا يمكنهم أن يُميّزوا الصدق من الكذب، ولا الحق من الباطل.

وملاحظٌ أيضًا أنه قد ظهرت مصنفات ومؤلفات كثيرة وفيرة تتحدّث في موضوع المسّ الشيطانيّ وطريقة معالجته إذا وقع لإنسانٍ ما، عند مَنْ يعترفون بوقوعه(٢)، ومن تلك المؤلّفات والمصنّفات ما التزم فيه صاحبه المأثور

---

(١) التُرهات: الطّرق الصّغار غير الجادّة تتشعّب عنها. الواحدة (تُرَّهَةٌ) فارسيّ مُعرّب، ثم استُعير في الباطل. (مختار الصحاح. مادة: ت ر هـ).

(٢) هناك طائفة ممن ينتسبون للعلم تنكر المس، وتقول سُخرية واستهزاء: هل المسُّ خاصٌّ بالمسلمين فقط، فلا يصيب إلّا إيّاهم(؟!) والرد على هؤلاء من الفضول؛ =

مشوبًا[١] باجتهاد المؤلف أو المصنف نفسه في بعض أنواع تلك المعالجات التي تخصّ المسّ الشيطانيّ دون غيره من الأمراض، ومنها أيضًا ما لم يلتزم فيه مؤلفه أو مصنّفه المأثور، وراح يُملي على قارئيه ما يقوله العلم الحديث عن الجن وقدراتهم وألاعيبهم ببني البشر.

ومن ناحية أخرى فقد كانت هناك مصنفات قديمة تتحدّث عن الجن أيضًا، ولكنها ليست موضوعة للكلام عنهم بصفة خاصّة، كالمصنفات التى أشرنا إليها من قريب، وإنما هي تُعرّج في ثنايا حديثها على الموضوع، ثم تمضي إلى حال سبيلها مسرعة تسابق الكلمات.

وهناك نوع آخر بالمصنّفات الروحانية اشتَهر، وهذا النوع متخصص جدًّا، ويتحدّث عن الروحانيين الذين هم الجن بصفة خاصّة، ومؤلفو هذا النوع من المصنفات يُطلق عليهم أيضًا الروحانيُّون، ويتميّز هذا النوع عن غيره من المؤلفات السابق ذكرُها بأشياء، منها الغموض، والغرابة، وسوء التعبيرات، وامتلاؤها بما يوقع في الشرك مَنْ يعتقده (عياذًا بالله من ذلك) ومع كل هذا فلا تخلو من فائدةٍ قراءتها ومطالعتها؛ لأنها كغيرها من الكتب يكون فيها ما هو غثّ وما هو سمين، ولكنّها إلى تدقيق[٢] وتنقيح[٣] وتمحيص[٤] أحوج ما

= ولذا ضربْنَا عنه صفحًا فإن أردْتَ الردَّ عليهم فانظر: زاد المعاد، لابن قيم الجوزيّة - الجزء الثالث - ص (٨٤). وجدير بالذكر أن هؤلاء يمتلكون عقولاً مجردة مجدبة لا مجال لها في العالم الروحي المطلق وآفاقه الفسيحة.

(١) مشوبًا: مخلوطًا.

(٢) التدقيق في اللغة: محاولة فهم ما غمُض وخفي معناه، فلا يفهمه إلا الأذكياء، فهو دقيق.

(٣) التنقيح في اللغة: التهذيب والتصفية، بترك ما لا يجوز، والأخذ بما هو جائز.

(٤) التمحيص في اللغة: الاختبار، وهو المقصود، والابتلاء، وهو غير مقصود هنا. واعلم أن الترتيب في هذه الثلاثة مقصود، فالتدقيق أوّلًا، ثم يُهذّب ويُصفّى ما فُهم بالتدقيق، ثم يختبر ما صُفّي وهُذّب، فإن نجح فَبِهِ ونِعْمَ، وإلا فليُترك.

تكون لإخراج ما قد يفيد بشكل أو بآخر، ولا عبرة بمنْ تركها تركًا مطلقًا فلو لم تُفد إلّا صورة حية لتلك العقول البشرية التي كتبت، لكان هذا وجهًا للفائدة لا ينكر.

ولقد سنحت لي الفرصةُ أنْ أطّلع على كثير من تلك المصنفات والمؤلّفات السابقة كُلّها، فتبيّن لي بعد قراءتها أنَّ واحدًا منها لا يخلو من مغالطات ومبالغات يجب أن نتنبه إليها؛ ولذا رأيت أن أدير النظر، وأُمعنَ في تلك المصنفات والمؤلّفات ناقلًا مُؤيّدًا، أو مناقشًا مُعارضًا، أو مجتهدًا في بعض النّقاط ما وسِعَني الاجتهاد، كل هذا مع التجرّد من نوازع العصبيّة أو التجنّي على أحد، أو التحيُّز إلى جانب دون آخر، مستعينًا بالله وحده، فالله المستعان، وعليه التُّكلان.

وإليك أيها القارئ العزيز أُهدي هذه الرسالة علّك أن تجد فيها عرضًا جميلًا خاليًا من الفضول والحشو، أو تحليلًا مفيدًا لنصٍّ من النصوص، أو نقدًا بناء لرأي من الآراء، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أُنيب.

المؤلف



تمهيد

تعلَّمت شيئًا في حياتي، وسرت فيها عليه، **فما ندِمت يومًا أن تعلّمتُه،** ولا أن سرت عليه، وهو أنني إذا نقدت قولًا ما، أو ناقشته خلعت من رأسي قائله؛ إذ لا شأن لي بعلم قائله أو بجهله، أو بمكانته العلميّة أو الاجتماعية أو السياسيّة، وإنما كنت أنظر إلى القول على أنه مجهول القائل، فلا يقف القائل حائلًا بيني وبين ما أردتُ الوصول إليه من إظهار وجه الحق، سواءٌ أصبت الصواب، أو أصابني الخطأ، فلكل مجتهد نصيب، **وليس عيبًا أن يخطئ الإنسان،** وإنما العيب أن يُصرَّ على خطئه بعد أن عرَف وجه الصواب فيه، وتلك مُسلّمة. وليس من شك أن المرء يخطئ مرّة ويُصيب أخرى، وهذا حال الإنسان في كل زمان ومكان، وعليه فلا شأن لي بصاحب الرأي ولا باضطرابه وثباته، فلرُبّما كان بالأمس على رأي تبيّن له خطؤه اليوم.

وممّا تعلّمته أيضًا أنْ لا أقف عند الأسماء فيأخذني جمال لفظها وسحره، أو يُبعدني قُبح لفظها وفظاظته، وإنما إلى المُسمَّى أنظر، وفيه أُمعن، حتى أقف على حقيقته وجوهره إن استطعت، فما أكثر الأسماء الخادعة، وما أعظم سلطانها على النفوس الضعيفة، فهذا صُوفيّ، وهذا إخوانيّ، وهذا أزهريّ، وهذا تبليغيّ، وهذا خلفيّ، وهذا سلفيّ، **وأخص بالذكر بعض[1] من إلى**

(١) كلمة بعض تُفيد تخصيص أفراد بعينهم، ولا تُفيد أبدًا كل من ينتسبون إلى السلف كما فهم بعض القرّاء. وهي على كلٍّ حالاتٌ فردية تلوّث السلفية فأردتُ إدانَتَها، وعلى كلٍّ أيضًا فالسلفية منهج عظيم شريف، والنقد - كما هو واضح- مُنصبٌّ على بعض أفراد ينتسبون إلى هذا المنهج زورًا وبهتانًا، وليس مُنصَبًّا على المنهج نفسه؛ ولذا وجب التنبيه. وكذا الأمر في الطريق المتشدد منهم. فأنا لا أعيب على أحد أن يُظهر مذهب السلف، ولا أن ينتسب إليه، سواء أكان موافقًا له باطنًا وظاهرًا، أم كان موافقًا له في الظاهر دون الباطن؛ لأن الأول بمنزلة المؤمن الذى على الحق =

السلف الصالح (رضوان الله عليهم) ينتسبون، وهم لا يعلمون من سلفهم إلا تطهير الثياب، فثيابهم البيضاء طاهرة نقيّة، من شدّة نقائها يكاد من ينظر إليها يرى فيها نفسه، وكأنّه ينظر في مرآة مصقولة نقية، فاهتموا بظاهرهم، وقلوبهم بالأكدار والأقذار ملأى، يُبغّضون إلى الناس الكذب، وهم فيه واقعون، وأمام الناس يتشدّدون، وهم فيما بينهم هم متساهلون، فصاروا بذلك خلَفًا لا سلَفًا، بل صورةَ سلفٍ وقع منها الصلاح والتقوى، فهم صورة سلف ليس غير، ينفع الناسَ ظاهرُهم، ويَضرُّ الناسَ باطنُهم، فكانوا بذلك من جملة المنافقين، يُعطونك من طرف اللسان حلاوة، ويعلم الله ما في قلوبهم، ويقابلونك بوجه أبي بكر، وبقلب أبي لهب، فالدين عندهم كلمة تُقال، وليس لها في قلب صاحبها من جذور.

= باطنًا وظاهرًا، ولأن الثاني بمنزلة المنافق فأقبل منه علانيته وأُوكل سريرته إلى الله. ولكن المعنيّ بالنقد هنا فئة انتسبت إلى السلفية باطنًا فيما أحسب، وأظهرت جهلًا وتكلفًا وكذبًا وتعالمًا، فذممتهم بما ظهر لي منهم، وأحسنت الظن فيما أبطنوه، والعمل إذا كان خطأً لا يُقبل حتى ولو كان خالصًا، بل لا بد أن يكون صوابًا خالصًا تحقيقًا لقوله جل شأنه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا (صوابًا) وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (خالصًا)﴾. فهؤلاء - وإن أحسنوا النية - لا يزالون أدعياء، فما فائدة إبطان الصلاح وإظهار ما ينافيه، وما فائدة التعالم والظاهر يفوح منه عفن الجهل وسوء الفهم، وعدم مخالقة الناس بخُلُقٍ حسن، وتكفير المعيَّن جهلًا وعدوانًا؟!

ثم إنهم إذا اصطدموا بمن يرمونه بالكفر والجهل والبدعة أظهروا له خلاف ذلك، وأروه أنهم لا ينكرون عليه شيئًا، وهذا ما عنيته بالنفاق الذي هو مخالفة الظاهر للباطن والعكس، وأعجب ما في هذه الفئة المعنية بالنقد أنها قد تقع في الشنائع جهلًا منها وتظن أنها على الخير، وتفصيل ذلك مما يطول، فمن أراده مشافهة أو مراسلة فلا مانع من ذلك.

وبالجملة فالمقصود أن هذه الفئة تزعم أنها على مذهب السلف، وليس كل من يزعم هذا يسلَّم له به، فإن المبتدعة تزعم هذا، فهل المبتدعة من السلف حقًّا؟! وأعني بالمبتدعة بعضهم لا كلهم؛ لأن الطوائف المشهورة بالبدعة كالخوارج والروافض لا يدّعون ذلك، بل يكفّرون جمهور السلف، ويطعنون في أبي بكر وعمر وعامة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وسائر أئمة الإسلام.

ومن ناحية أخرى نجد فريقًا ممن إلى السلف الصالح ينتسبون في الدين ويتشددون، وفيه يتنطعون[١]، ومن هضبته الشمّاء يقتطعون صخورًا صمّاء، يضعونها عقبة في سبيل المدنية والحضارة المنشودتين[٢]، حتى صيروا الدين عِبئًا ثقيلاً على كواهل الناس وعواتقهم، فملّه منهم الكثير، وبه بَرِمُوا[٣]، وأخذوا يطلبون لأنفسهم الحياة الطيّبة من طريق غير طريق الدين الذي حرّم بعضُ مَنْ ينتسبون إليه كلَّ شيء، حتى كادوا يُحرّمون شُربَ الماء بل وتنفُّسَ الهواء.

ولو أن هؤلاء المتشدّدين لانوا بأحكامه وتعاليمه مع الزمان وصروفه[٤]، ولو أنهم تمشَّوا بأوامره ونواهيه مع شئون مجتمعهم وأحواله، ولو أنهم عرَفوا شيئًا اسمه فقه الواقع؛ لاستطاع الناس أن يجمعوا بين الأخذ بأسباب دينهم، والأخذ بأسباب دنياهم، ولكنهم لم يفعلوا، بل على الدنيا كلها سخطوا، وبأحوال الناس تبرّموا، **فعاملوهم معاملة الكفار**، أو مَنْ وجب عليهم دخول النار، ممَّا جعل الناس عنهم ينصرفون.

وصدق الله الحكيم، إذ يقول: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٥].

---

(١) يُقال: تنطّع في الشيء، إذا غالى وتكلّف فيه. (المعجم الوجيز - مادة: ن ط ع).

(٢) المدنيّة والحضارة: المقصود بهما مظاهر الرُّقيّ العلميّ والفنيّ والاجتماعيّ في المدن والقُرى والريف على ما ترتضيه الشريعة الإسلامية السمحة.

(٣) بَرِم به: من باب طرب. وتبرّم به، أي: سَئِمَهُ (مختار الصحاح).

(٤) الصَّرْف: صَرْف الدَّهر: نوائبه وحدثانه (ج) صُرُوف. (المعجم الوجيز).

(٥) آل عمران (١٥٩). مفهوم هذه الآية حسب معاني ألفاظها، وظلال تلك المعاني: ولو كنت فظًّا غليظ القلب بعدم تلطفك في دعوة الناس إلى الله بأسلوب حسن يراعي المقتضيات القائمة - وهو المقصود بفقه الواقع في قولنا السابق - ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة، دون الإخلال بالحقيقة التي يتمُّ تبليغها، فالحقيقة يجب أن تبلَّغ كاملة غير منقوصة، تحت مظلة الحكمة والموعظة الحسنة، إذ لو كنت =

فإلى الطائفة الأولى أقول:

تمضي حلاوةُ ما أخفيتَ وبعدها   تبقى عليك مرارةُ التَّبَعَاتِ
يا حسرة العاصين يوم مَعادهم   لو أنهم سُبقوا إلى الجنَّاتِ
لو لم يكن إلّا الحياءُ من الذي   ستر العيوبَ لأكثروا الحسراتِ(١). اهـ.

وإلى الطائفة الثانية أقول:

اذهبوا إلى الناس، فقولوا لهم قولاً ليّنًا، لعلَّهم يتذكّرون، أو يخشَوْن ربهم، وجادلوهم بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينكم وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم.

= فظًا غليظ القلب، وأنت تبلّغ حقيقة ظاهرة بنية واضحة لكانت هذه الفظاظة وهذا التغليظ مانعًا عن المدعوّ الاستماع والقبول، ودافعًا المدعوَّ إلى الفرار والاستكبار متجاهلاً تلك الحقيقة بسبب من أسلوب دعوتك إياه، فإذا لقيت إنسانًا يتبع هواه، ومع ذلك يزعم أنه من عباد الله، فطريق دعوته لا أن تعطيه الحجة والبرهان، ولا أن تدندن في أذنيه بما يقوله الفقه الإسلامي ثم تتركه مستعليًا عليه وكأنك خالٍ من العيوب، أو ملك نزل من السماء، وإنما طريق دعوته بأن توقظ فيه تقوى الله، ومخافة الله، ومراقبة الله في السر والعلن، بأن تعرفه عظمة الله وقدرته وجبروته وقاهريته وسلطانه، وأنه سبحانه لو شاء لقهر الناس على ما يريد، ولكنه من رحمته لا يقهر أحدًا على ما يريد، وإنما يدعو الناس بقول رقيق يمس القلب قائلاً جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾. ولا يغب عنك وأنت تدعو إنسانًا إلى الله أنه مضغوط من الواقع الجاهلي الذي يعيش فيه، ولم يُكتبْ له بعد أن يستريح منه، فإذا أغلظت عليه عاند، وكنت أنت الخاسر في النهاية حيث أفسدت من حيث أردت الإصلاح، وكنت جاهلاً بفقه الواقع كأشد ما يكون الجهل. وبالجملة فهذا هو مفهوم قولنا: فقه الواقع. وانظر في ظلال القرآن لسيد قطب (٢/ ٩٤١)، دار الشروق - ط - الثالثة عشرة.

(١) الأبيات من كتاب الكبائر للحافظ الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨هـ) ص (١١٠)، الكبيرة الرابعة والثلاثون - المكتبة القيّمة.

«واعلموا أن العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا، **فإنهم لا يقدرون على تركها**، وقد تعلّقت بها قلوبهم، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم، فترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة، فكيف تأمر بالفضيلة مَنْ لم يُقم الفريضة(؟!).

فإن صعُب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تُحبِّب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله، ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطورة على محبته سبحانه، فإذا تعلّقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها، والإصرارِ عليها»[1]. ومعلوم أنَّ لمفارقة المألوف دفعة واحدة - ثقلاً على الطبيعة، فإذا أردت أنْ تُطاع، فأمر بما يُستطاع، واسأل الله التوفيق، **فأنت بهذا السؤال حقيق**[2].

۞ ۞ ۞

(١) وانظر هذا المعنى في (الفوائد) لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيّم الجوزيّة (٦٩١- ٧٥١) - الطبعة الأولى - ص (١٣٤).

(٢) حقيق: جدير.

تعريف الجن

شُغِف القدماء بالحدود والتعريفات، فكادوا لا يرَوْن شيئًا إلّا هرعوا إلى ألفاظ لُغتهم يقتبسون منها تعريفًا مناسبًا لهذا الشيء الذي رأوه، حتى الروح التي قال الله (عزّ وجلّ) في شأنها: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ - لم يتركوها دون أن يبحثوا لها عن تعريف، فاسمع إلى ما قاله فيها الإمام جلال الدين المحلّي (رحمه الله) عند تفسيره لسورة «ص»، فقد قال: «الرّوح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه». اهـ. وانظر الآية الحادية والسبعين من السورة.

فها هو ذا يُعرّف شيئًا نصّ القُرآن على أنه من أمر الله، مِمّا جعل الإمام السيوطي يقول: «وكنت قد تبعت الشيخ جلال الدين المحلّي في تعريفه هذا، فذكرته في سورة الحِجْر، ثم ضربت عنه صفحًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ فالآية صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه نحن، فالإمساك عن تعريفها أولى؛ ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في جمع الجوامع: «والروح لم يتكلّم عليها محمد ﷺ فنمسك عنها». اهـ. كلام السيوطي بتصرّف[1].

قلت: وهذا الذي قاله السيوطي في الروح - إنما كان من أجل النص القرآني الذي نزل في الروح، **فلا ينسحب على غيرها** مما لم ينزل فيه نص (والله أعلم)، وعليه فلا ضير من تعريف الجن مثلًا، مع كونه جسمًا لطيفًا

---

(١) وانظر نص كلامه في تفسير الجلالين - سورة الإسراء - الآية (٨٥) منها. وفي هامش التذكرة لداود الأنطاكي ما نصه: «وأهل الشرع قد حبسوا عن الكلام في الروح أعِنّة الألسنة والأقلام بزاجر قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾». اهـ.

أيضًا؛ وذلك لعدم وجود نص يُصرّح بأنه من علم الله الذي استأثر به، كما كان الأمر في الروح، فرحم الله الإمامين الجليلين، وشكر الله للإمام السيوطي حرصَه على الالتزام بظاهر النّصّ القرآني في هذه المسألة وغيرها، وهذا من ورعه وتقواه!!

وها هو ذا الإمام الدميري يسوق لنا في كتابه(١) تعريفًا للجن فيقول:

«الجن أجسام هوائية قادرة على التشكُّل بأشكال مختلفة، لها عقول وأفهام، سُمِّيت بذلك؛ لأنها تُتّقى ولا تُرى». اهـ.

وعرّفه غيره بقوله:

«الجن أجسام ناريّة لطيفة، تتكَثّف، ثم تلطُف، ولهم خواصّ الإنس في المأكل والمشرب والمباشرة والتناسل والموت عند بلوغ الأجل»(٢). اهـ.

قلت: والتعريف الأوّل أدقّ وأجود؛ حيث ورد فيه أن لهم عقولاً وأفهامًا، فبالعقول كانوا من جملة المكلَّفين بأحكام الشرع الحنيف، وبالأفهام يُدركون الغث من السَّمين، والركيك من الفصيح؛ لأنَّ الفَهْمَ حُسن تصور المعنى، وجودة استعداد الذهن للاستنباط، ألَمْ تسمعْ إلى قولهم: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ فهم قد أدركوا بأفهامهم تراكيب القرآن العجيبة، وما فيه من سُبل الهداية، ممّا كان سببًا في إيمانهم بهذا القرآن الذي هو كلام الله، ثم قالوا مظهرين التوحيد: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، وما قلناه إنما هو بعض ما تميّز به التعريف الأول، حيث لم يرد في التعريف الثاني. وهناك نقطة أخرى أهملها التعريف الثاني، وهي قدرتهم على الأعمال الشاقة التي لا يقدر على

---

(١) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٨٨) - حرف الجيم (الجن).

(٢) نفحة الروح بين الحقيقة والصورة في الإنس والجن، لعبد السلام محمد بدوي - ط الأولى - ص (١٩١). طبع عام ١٩٨٤م

مثلها العُتاة من الإنس، وذلك كالتنقُّل بسرعة فائقة من المشرق إلى المغرب والعكس، والصعود إلى السماء، وحمل الحجارة الثقيلة التى تنوء بالعُصبة أولي القوّة من الإنس. وقوله في التعريف الأوّل: «أجسام هوائية قادرة على التشكُّل بأشكال مختلفة» أدقُّ من قول غيره في التعريف الثاني: «أجسام ناريّة لطيفة، تتكثَّف ثم تلطُف»؛ إذ لو كانوا على أصلهم من الناريَّة لاحترق بدخولهم في جسده المسحور والممسوس، وهذا غير واقع، وإنما هم قد تحوّلوا عن أصلهم الناريّ إلى أن صاروا هواء، كما تحوّل الإنس عن أصلهم الطينيّ إلى أن صاروا لحمًا ودمًا.

وهناك عبارة في التعريف الثاني لو أضيفت إلى الأوّل، لصار التعريف الأول جامعًا مانعًا كما يقولون، أو قريبًا من ذلك، تلك العبارة هي «ولهم خواصّ الإنس في المأكل والمشرب، والمباشرة والتناسل، والموت عند بلوغ الأجل». هذا والله أعلم.

وفي لسان العرب: «الجن: ولد الجان، وهو نوع من العالم، سُمُّوا بذلك؛ لاجتنانهم عن الأبصار. ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وعن التشكُّل الذي أشار إليه الدميري في تعريفه السابق يقول الإمام ابن تيمية (رحمه الله): «الجن يتصوّرون في صور الإنس والبهائم، فيتصوّرون في صور الحيّات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير»[1]. اهـ.

قلت: ولا يستطيع أحد أنْ يُنكر ما لبعض الجن من قدرة على التشكُّل والتصوّر بصور وأشكال مختلفة؛ لما ورد في ذلك من أحاديث صحيحة، كحديث الشيطان الذي أمسك به الصحابي الجليل أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يسرق من طعام زكاة رمضان، وهو حديث معروف عند عامة الناس فضلًا عن علمائهم،

(١) رسالة الجن، لابن تيمية - ص (٣٢).

وقد رواه الإمام الحافظ البخاري في صحيحه معلّقًا[١]؛ وأيضًا لما جاء في الحديث الذي رواه ابن أبي شيبة وصحّح الحافظ إسنادَهُ، وهو يقول: إن الغيلان ذُكروا عند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال: إن أحدًا لا يستطيع أن يتحوّل عن صورته التي خلقه الله عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم ذلك فأذِّنوا[٢].

قلت: كانت العرب تزعم أن الغيلان تظهر للناس في الفلاة، فتتلوّن لهم في صور شتّى، وتغولهم؛ أي: تضلِّلهم وتُهلكهم، فبيّن لهم الصحابيُّ الجليل عمر رضي الله عنه أن أحدًا لا يستطيع أن يتحوّل بقدرة نفسه عن صورته التي عليها خلقه الله، وإنما بكلمات وضُرُوب من ضُرُوب الأفعال، يُعلِّمها الله له، كما أشار إلى ذلك القاضي أبو يعلى[٣]، ثم أمرهم بأنْ يُؤذِّنوا إذا رأوا شيئًا من ذلك، كما بيّن لهم أن من الشياطين سحرةً كما في الإنس، وهي تستطيع بسحرها أن تغيِّر من صورة بعضهم، فيظهر أمام الناس بمنظر يُخيفهم.

وهذا الذي فسّرنا به كلام عمر رضي الله عنه هو الصحيح؛ إذ لا يصحّ حمل كلامه على أنه ينفي قدرة الجن على التشكّل والتصوّر؛ فيكون بذلك مُخالفًا بل مُكذِّبًا لما جاء في حديث البخاري، في الجن الذي كان يسرق من مال الزكاة، وحاشاه رضي الله عنه أن يعتقد خلاف ما أخبر به الرسول ﷺ وهو مَنْ هو عمر

---

(١) البخاري (٤/ ٤٨٧) أو (٦/ ٣٣٥).

(٢) فتح الباري (٦/ ٣٤٤).

(٣) انظر آكام المرجان في أحكام الجان - ص (١٩) حيث كلام القاضي أبي يعلى الفراء الذي نقلنا معناه، ونصه: «ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور، إنما يجوز أن يعلِّمهم الله تعالى كلمات وضروبًا من ضروب الأفعال، إذا فعله أو تكلّم به، نقله الله من صورة إلى صورة».

ثم اعلم أن هذا الكلام اجتهاد من أبي يعلى؛ إذ لا دليل عليه، ومع ذلك فقد حملنا عليه مقصود عمر بن الخطاب رضي الله عنه لخلوّ الكلام ممّا يناقض ظاهر الشريعة. والله أعلم.

الفاروق، فرق الله به بين الحقّ والباطل، فأنعِمْ به صحابيًا جليلاً من صحابة رسول الله ﷺ الذين كانت قلوبُهم من صفائها ونقائها وطهارتها ترى ما لم يقع قبل أن يقع.

ليس هذا فحسب، وإنما كانوا أيضًا من أكمل الناس فُهومًا، وأعظمهم إدراكًا، وأرجَحِهم عقولاً، وأزكاهم نفوسًا، وأفضلهم أخلاقًا، كل هذا لقربهم ممَّن قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فصلاة الله وسلامه عليك يا رسول الله! لقد علّمتهم، فكنت خير مُعلِّم، ودعوتَهم إلى الهدى، فكنت خير داعٍ إليه، فما تركتَ شيئًا يقربهم إلى الجنة إلا أوقفتَهم عليه، وأمرتهم به فأطاعوا، ولا شيئًا يبعدهم من النار إلا حذّرتَهم منه، وحذّرتهم من مغبّته، فكانوا بذلك هُداة مهتدين، لله طائعين، وبه مؤمنين.

وبالجملة «فالعلوم قاطبة من لدن آدم إلى الآن لم تُنشئ جيلاً من الناس، ولا جماعةً من الجيل، ولا فئةً من الجماعة كالذي أخرجتْهُ آدابُ القرآن وأخلاقه من أصحاب رسول الله ﷺ»[1].

۞ ۞ ۞

(١) إعجاز القرآن، لمصطفى صادق الرافعي، ط الثانية، ص (٩٧)، نشر دار الكتاب العربي بيروت.

أصناف الجن

جاء في حديث رواه الطبراني بإسناد حسن، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، والبيهقيّ في الأسماء والصفات بإسناد صحيح[(١)]، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الجن ثلاثة أصناف، صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيّات وعقارب، وصنف يحلّون ويظعنون»**.

وفي حديث آخر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيّات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف كبني آدم، عليهم الحساب والعقاب، وخلق الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم، قال تعالى:** ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾، وصنف أجسادهم كأجساد بني آدم، وأرواحهم كأرواح الشياطين، وصنف في ظل الله (عز وجل) يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه». اهـ.

قال ابن حبّان: رواه يزيد بن سفيان الرهاوي، عن أبي المنيب، عن يحيى ابن كثير، عن أبي سلمة، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ويزيد بن سفيان ضعّفه يحيى ابن معين، والإمام أحمد بن حنبل، وابن المديني[(٢)].

ولسائل أن يقول: ما دام الحديث ضعيفًا فلمَ قمتَ بإيراده هنا؟

---

(١) صحيح الجامع (٣/ ٨٥). وانظر حياة الحيوان الكبرى للدميري (١/ ٢٨٨) وما بعدها - حرف الجيم (الجن) - مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة.

(٢) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٢٨٨) والتي بعدها.

والجواب: لسببين اثنين:

الأوّل: لأنني نظرت في متن الحديث، فألفيت معناه متّسقًا مع الواقع، وتشهد له بعض الآثار من السُّنَّة الصحيحة.

الثاني: لأنه لم يأتِ بجديدٍ في مَيْدان الأحكام الشرعيّة والفضائل، وإنما هو بمثابة شرح لمَا تقرَّر من قبل في الأصول المتيقَّنة.

وأراني بذلك غير مخالف للمنهج العلمي المقرَّر. والله أعلم.



زاد الجن

روى الإمام مسلم[١] عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرّة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام؛ فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابيّ كأنه يُدفع، فأخذ بيده رسول الله ﷺ ثم قال: «**إن الشيطان يستحلّ الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذه الجارية، ليستحلّ بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابيّ؛ ليستحلّ به، فأخذت بيده، والذي نفسي بيده، إن يده في يدي مع يدها**». اهـ.

ما أجملَ هذا الأدب، وما أسماه! لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وما أحوجنا تلك الأيام أن نُعلّم أبناءنا وبناتنا ألّا يَمُدّ أحدهم يدَهُ في طعام قبل أن يبدأ بذلك ربهُم! وقبّح الله شيطانًا أراد أن يستحلّ طعامًا يأكل منه رسول الله ﷺ وصحابته الأجلّاء!

وفي الحديث دليلٌ على أن الجن يأكلون مما نأكل منه، ويشربون مما نشرب، ومَنْ خصّص لهم طعامًا معيّنا، فقد أبعد النجعة، وقال برأيه. وظاهر النصوص يدلّ على أنهم لا ينفردون بأكل خاصّ.

وقد روى الشافعي والبيهقي فيما نقله عنهما الدميري[٢]، أن رجلًا من الأنصار رضي الله عنه خرج يصلّي فَسَبَتْهُ[٣] الجن، وفُقد أعوامًا، وتزوجت زوجه، ثم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ١٩٠).

(٢) حياة الحيوان الكبرى، للدميري (١/ ٢٩١) وما بعدها - حرف الجيم (الجن)، طبع عام (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) - مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة.

(٣) أسرته، أي أخذته عندها أسيرًا

أتى المدينة، فسأله عمر رضي الله عنه في ذلك، فقال: اختطفتني الجن، فلبثت فيهم زمنًا طويلًا، فغزاهم جن مؤمنون، وقاتلوهم، فأظفرهم الله عليهم، وسبَوْا منهم سبايا، وسبَوْني مع من سبَوْا، فقالوا: نراك رجلًا مسلمًا، ولا يَحِلّ لنا سباؤك. فخيّروني بين المقام عندهم، والقفول[1] إلى أهلي، فاخترت أهلي، وأتوا بي إلى المدينة. فقال عمر رضي الله عنه ما كان طعامهم؟ قال: الفول، وكل ما لم يُذكر اسمُ الله عليه. قال: فما كان شرابهم؟ قال: الجدف. وهو الرغوة؛ لأنها تجدف عن الماء. وقيل: نبات يُقطع ويُؤكل. وقيل: كل إناء كشف عنه غطاؤه[2]. اهـ.

وقد يكون لكثرة الفول عندهم يدٌ في تقديم الصحابي الجليل للفول خاصّة في بدء إجابته عن أكلهم، فكثيرًا ما يُقدّم الإنسان ذكر ما كثُر، أو اشتهر، أو حُبِّب إليه، أو إلى مَنْ له صلةٌ به بوجهٍ من الوجوه. ومهما يكن من شيء، فهم يأكلون كل ما لم يُذكر اسمُ الله عليه، كما جاء في الحديثين الأول والثاني مُصرّحًا به.

وفي الحديث الذي نقله الدميري دليل على أن حروبًا تقع بينهم، كما تقع بين الإنس، وأن منهم المسلمين ومنهم دون ذلك، كما صرّحت بذلك آيات القرآن الكريم.

۞ ۞ ۞

---

(١) القفول: الرجوع، ومنه سُمّيت القافلة، وهي الرّفقة الراجعة من السَّفَر، والعامّة تقوله لمن ابتدأ أو عاد.

(٢) ورد هذا الخبر بسياق آخر، فانظره في [دليل المعالجين بالقرآن الكريم] لرياض سماحة - ط العاشرة - ص (٦٤).

أعمار الجن

ليس من شك أن الأعمار بيد الله (جلَّ في علاه) وأعمار الأُمم السابقة كانت من الطول بحيث يعجب لها الإنسان، ولقد حدّثنا القرآن الكريم عن نوح (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) وأنه قد لبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عامًا، وهي عُمر مكثه فيهم فقط، وهذا معناه أن عمره ﷺ كان أطول من ذلك، كما لا يخفى على ذي لُبٍّ، فقيل: إن عمره (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) كان خمسًا وسبعين وخمسمائةٍ وألفَ سنة (١٥٧٥). فالله أعلم.

وأما إبليس (لعنة الله عليه) فقد أنظره ربُّنا تبارك وتعالى إلى يوم الوقت المعلوم، حيث قال (جل شأنه): ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾[١].

وأما الجن بصفة عامة، فالغالب عليهم طول أعمارهم، وقد قال الإمام الدّميري في كتابه[٢]، بعد أن ذكر خبرًا غريبًا عن الجن:

وأغرب من هذا ما في أُسْدِ الغابة [لابن الأثير] تبعًا لأبي موسى بإسنادهم عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع رسول الله ﷺ خارجًا من جبال مكّة؛ إذ أقبل شيخ يتوكّأ على عكازه، فقال النبي، ﷺ: **«مشية جنيّ ونغمته»**. قال: أجل. فقال النبي ﷺ: **«من أيّ الجن؟»** قال: أنا هامة بن الهيم، أو ابن هيم ابن لاقيس بن إبليس. فقال: **«لا أرى بينك وبينه**

---

(١) سورة ص - آية (٨٠ - ٨١)، وقد وردت الروايات أنه يوم النفخة الأولى التي يصعق فيها من في السماوات والأرض - إلا ما شاء الله - لا يوم يبعثون.

(٢) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٢٩٥) وما بعدها، حرف الجيم (الجن)، البابي الحلبي بالقاهرة.

إلّا أبوين». قال: أجل. قال: «كم أتى عليك؟» قال: أكلتُ[1] الدنيا إلّا أقلّها، كنت ليالي قتل قابيل هابيل غلامًا ابن أعوام، فكنت أتشوّف على الآكام، وأُؤرّش بين الأنام[2]. فقال رسول الله ﷺ «بئس العمل!». فقال: يا رسول الله، دعني من العَتْبِ[3]، فإني مِمَّن آمن بنوح وتبت على يديه، وإنّي عاتبته في دعوته[4]؛ فبكى وأبكاني، وقال: إنّي والله لمن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقيت هودًا، وآمنت به، ولقيت إبراهيم، وكنت معه في النار إذ أُلقي فيها، وكنت مع يوسف إذا أُلقي في الجُبّ، فسبقته إلى قعره، ولقيت شعيبًا وموسى، ولقيت عيسى ابن مريم، فقال لي: إن لقيت

---

(١) الأدباء يقولون: أكلتُ يومًا، وأنفقتُ يومًا، وعشتُ يومًا، وأفنَيْتُ يومًا، وقضيتُ يومًا، وأمضيت يومًا، وكلها تعبيراتٌ صحيحة، ولها ظلال يعرفها البلاغيُّون.

(٢) أرّش بينهم: أغرى بعضهم ببعض. وأتشوّف؛ أي: أتطلّع مِنْ عليها. والآكام: التّلال، وما ارتفع على الأرض، مفردها: أَكَمَة. والأنام: جميع ما على الأرض من الخَلْق.

(٣) العَتْبُ: العِتَابُ.

(٤) يشير إلى ما دعا به نوحٌ ربّه، حيث قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦- ٢٧]. ومعنى: لا تذر على الأرض من الكافرين دَيارًا: لا تترك على الأرض من الكافرين أحدًا. وكان دعاؤه (عليه السلام) بعد أن أعلمه الله أنه لا يؤمن من قومك إلّا من قد آمن.

وقد ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة لم أؤمرْ بها. فإنه (عليه السلام) وإن لم ينه عنها فلم يؤمرْ بها، فكان الأولى ألّا يدعو إلا بدعاء مأمور به واجب أو مستحبّ، فإن الدعاء من العبادات؛ فلا يعبد الله إلا بمأمور به واجب أو مستحبّ، وهذا لو كان مأمورًا به لكان شرعًا لنوح. وبقي أن ننظر في شرعنا هل نسخَهُ أو لا؟ وانظر: ابن تيمية: الفتاوى الصغرى (٨/ ٣٣٦).

وإنما أورد ابن تيمية شيخ الإسلام هذا السؤال: هل نسخه أو لا؛ لأن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه، وهذا مبنيٌّ على ثبوت شرع من قبلنا بنقلٍ ثابت عن النبي ﷺ أو بما تواتر عنهم، وعلى هذا الأئمة وأكثر العلماء. الفتاوى (١/ ٢٥٨).

محمدًا، فأقرئه منّي السلام، وقد بلّغت رسالته، وآمنت بك، فقال النّبيُّ ﷺ «**على عيسى وعليك السلام، وما حاجتك يا هامة؟**» قال: إن موسى علّمني التوراة، وعيسى علّمني الإنجيل، فعلّمني القرآن، فعلّمهُ. وفي رواية أنه ﷺ علّمه عشر سور من القرآن، وقُبض رسول الله ﷺ ولم يَنْعَهُ[1] إلينا، فلا نراه (والله أعلم) إلا حيًّا. اهـ. ما نقله الدميري.

۞ ۞ ۞

(١) لم يَنْعَهُ إلينا: لم يُخبرنا بموته.

تناكح الجن وصورته

نصوص القرآن صريحةٌ في أن الجن يتناكحون ويتناسلون، ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾(١)، وقوله عزّ من قائل: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾(٢). ففي هاتين الآيتين الكريمتين دليلٌ قاطع لا يُساوره شكّ على أن الجن يتناكحون ويتناسلون، وإلّا لما كان لهم ذريّة(٣).

وأما صورة تناكحهم وكيفيته، فهي التواء مثل ما يبصر [من] الدخان الخارج من الألوان، أو من فرن الفخار، يدخل بعضه في بعض، فيلتذُّ كلٌّ منهما بذلك التداخل، ويكون حملهم من ذلك كلقاح النخلة بمجرّد الرائحة(٤).

[قاله صاحب اليواقيت].

قلت: وما قاله صاحب اليواقيت من صورة تناكحهم - لا ينطبق على الصورة التي يتناكح فيها إنسيّ مع جنيّة مثلاً، أو جنيّ مع إنسيّة، وإنما تكون كالاستحلام للإنسي أو الإنسية، اللّهم إلّا إذا كانت الجنيّة أو الجنيّ متمثّلاً في صورة آدميّ، ففي هذه الحالة يتمُّ الجِماع بطريقة طبيعيّة، كالتي تكون بين البشر. والله أعلم.

---

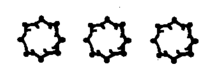
(١) الكهف: (٥٠).

(٢) الرحمن: (٥٦).

(٣) انظر في ذلك آكام المرجان في أحكام الجان - ص (٣٣).

(٤) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر - ص (١٣٧) والتي بعدها، الجزء الأول، طبع عام (١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م)، مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة.

ثم اعلم أن هناك فروقًا بين الصورتين والطريقتين، فجِماع الجن مع الإنس في الصورة التى تكون كالاستحلام للإنس - لا يحدُث معه فضّ لغشاء البَكَارة، كما لا يحدُث معه حَمْل ولا إنجاب؛ وذلك لاختلاف الجنس حينئذٍ. أمّا جِماع الإنس مع الجن في الصورة التي يكون فيها الجن متمثلاً في صورة بشرية، فيحدُث معه فضٌّ لغشاء البَكَارة ويحدُث معه حَمْل وإنجاب أيضًا؛ وذلك لاتفاق الجنس حينئذٍ. والله أعلم.



أماكن لا تدخلها الجن

قال الإمام الدميري[١]: لا تدخل الجن بيتًا فيه الأترج[٢]، روينا عن الإمام أبي الحسن علي بن الحسن بن الحسن بن محمد الخلعي - نسبة إلى بيع الخلع - وهو من أصحاب الشافعيّ، وقبره معروفٌ بالقرافة، والدعاء عنده مستجاب[٣]، وكان يُقال له: قاضي الجن - أنه أخبر أن الجن كانوا يأتون إليه، ويقرءون عليه، وأنهم أبطئوا عليه جُمعة، ثم أتوْه، فسألهم عن ذلك.. فقالوا: كان في بيتك شيء من الأُتْرُجّ، وإنا لا ندخل بيتًا هو فيه.

ثم قال الدميري معلّقًا: ولهذا ضرب النبي ﷺ المثل للمؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترج؛ لأن الشيطان يهرب عن قلب المؤمن الذي يقرأ القرآن، كما يهرب عن المكان الذي فيه الأترج، فناسب ضرب المثل به، بخلاف سائر الفواكه. اهـ. بتصرّف.

قلت: ولي مع كلامه هذا وقفة:

أولاً: معلومٌ أنّ الشيطان هو الجن الكافر المتمرد، وهو الذي يهرب من الأُتْرُجّ، ولكن الجنّ الذينَ كانوا يحضُرون عند قاضي الجن مسلمون بدليل قراءتهم للقرآن، **فلماذا يهربون من الأُتْرُجّ**، ما داموا ليسوا شياطين(؟!) وعليه

---

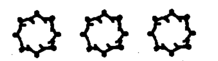
(١) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٠٤) وما بعدها - حرف الجيم (الجن) مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة - طبع عام (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

(٢) **الأُتْرُجُ**: شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكِبار، وهو ذهبيّ اللون، ذكيّ الرائحة، عصيره حامض. (المعجم الوجيز).

(٣) كذا قال، والجزمُ بمثل هذا مما لا يُحمَد مطلقًا، بل إن قصد شيء من القبور لا سيما قبور الأنبياء والصالحين عند الدعاء مما لا يجور شرعًا

فما قاله الإمام الدميري عن المثل الذي ضربه النبي ﷺ فيه نظر بيّن. والله أعلم.

ثانيًا: ليس من شكّ أن لبعض الأشياء خواصّ، فللنبات خواص، وللقمر خواص في مدّ البحر وجذره، وللشمس خواصّ في نموّ الزرع، وهكذا، فلا يستطيع أحد أن يُنكر ما لهذه الأشياء من خواصّ يشهد بها الواقع، فلا غرابةَ أن يكون للأُتْرُجّ خاصية في إبعاد الجن من المكان الذي هو فيه، «واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواصّ؛ فإن أثر المغناطيس مشاهَدٌ، [بَيْدَ] أنّ الناس قد أكثروا فيها، وخلطوا الصدق بالكذب، والحق بالباطل»[1]. والله أعلم.



(١) وانظر قصّة السحر والسحرة - ص (٤٥)

ذمّ عشرة الجن[(١)]

اعتاد كثيرٌ من الناس على ألّا يناموا إلّا بعد أن يتجرّدوا من ثيابهم، وقد يكون لحرارة الجوّ يدٌ في هذا الفعل، حتى صار عادة في الحرّ والبرد، ولست أشك أنْ لا مانع من أنْ يخالط هواء يوم من الأيام فيح جهنّم، فيكتسب منه قوّة جَهنميّة تجعل من الأرض جِسْمًا ملتهبًا يوشك أن ينفجر، فيكون من نتائج هذه الموجة أن يتملّص الإنسان من ثيابه هربًا من هذه الحرارة القاسية، المُهمّ أن هؤلاء الذين ينامون وهم عُراة، قد ينسون أن يُحصّنوا أنفسهم وذويهم بالأذكار النبويّة بما تشتمل عليه من آيات قرآنية، ممّا يجعل الجن تنظر إليهم، فتهيم بهم شوقًا وعشقًا، خصوصًا إذا كان للشخص النائم حَظٌّ من جمال الهيئة، فيدخل الجنيّ جسد هذا النائم تمتُّعًا به، واستلذاذًا بمجامعته، وهذا نَوْعٌ من المسّ ينتُج من العشق، **والعشق داءٌ خطير إذا أصاب القلوب الضعيفة**؛ ولذا كان القدماء من الحكماء يَنْهَوْن عن النوم ليلًا، والحالة هذه، ومن هؤلاء الحكماء الحارث بن كلدة طبيب العرب وحكيمُها، فلقد قال حينما سأله كِسرى ملك الفرس، عما يقوله في الحمّام... فقال له الحارث بن كلدة:

«لا تدخل الحمّام شبعان، ولا تغشَ أهلك سكران، ولا تنم بالليل عُريان، وارفُق بجسمك، يكنْ أرجى لنسلك»[(٢)]. اهـ.

---

(١) المعاشرة المقصودة هنا هي التي تكون للمنفعة واجتلاب المعلومات عن بعض الناس، وإلّا فالمعاشرة لا تكون مذمومة أبدًا ما دامت محدودة بحدودها الشرعية والعُرفيَّة. ومن تلك المعاشرات المذمومة معاشرة الجن العاشق، ومعاشرة الساحر للجن، فهي معاشرات مبنية على المنفعة المحرّمة، ومن هنا ندرك خروج المعاشرة بالزواج منهم، فهي معاشرة مشروعة على الصحيح المختار عندنا، كما سنبيّن بعدُ إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسيّ - الطبعة الأولى (٥/ ٣٠٢)، نشر دار الأندلس، طبع عام (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)

صدقتَ أيها الحكيم، فكم من الصروف(١) بالإنسان قد ألمّت، بسبب مثل هذا التصرّف، فإذا كان لا بُدّ من النوم على تلك الحال، فليحصّن الإنسان نفسه وأهله قبل أن يخلد إلى النوم، وقبل أن يُسلم إلى سلطانه جفون عينيه باسم الله الذي لا إله إلا هو؛ **لأن الجن العاشق قد يُصرّ على البقاء في الجسد لمدة طويلة**، فيصعُب طرده وإبعاده، مما يكون سببًا في قيام معاشرة بينه وبين الممسوس، من الناحيتين الجنسيّة والحياتيّة، كما تحصُل بين الإنس والجن مجالسة للحديث والسَّمَر، ولستُ أشكُّ أن «مجالسة الجان [في تلك الحال] رديئة غير محمودة، ومَنْ آثر مجالستهم من العلماء الروحانيين فهو جاهل (لأنهم قد يُخبرونه بشيءٍ يحمله هو على الصدق وهو كذب محض) **فإن الغالب عليهم الفضول كفسقة الإنس، فالعاقل من هرب منهم** كما يهرب من مجالسة الفاسقين، وما رأيت أحدًا جالسهم من الناس وحصل له أبدًا خيرٌ، وذلك لأنَّ أصلهم نار، والنار كثيرة الحركة، ومَنْ كثُرت حركاته، كان الفضول إليه أسرع، فالجن أشد فتنة على جليسهم من الناس، فإنهم اجتمعوا مع فسقة الإنس على الاطّلاع على عورات الناس التي لا يقع فيها عاقل.

وقد قال محيي الدين [ابن عربي] في الباب الحادي والخمسين من الفتوحات: ما جالس أحد الجان، وحصل له منهم بالله علم جملة واحدة؛ إذ هم أجهل العالم الطبيعيّ بالله وصفاته(٢)، ورُبَّما يتخيّل جليسهم بما يُخبرونه

---

(١) الصَّرْفُ: صَرْفُ الدَّهرِ: نوائبُه وحِدثانُه (ج) صُروف: (المعجم الوجيز - مادة: ص ر ف).

(٢) لستُ أدري ما الذي استند إليه في هذا الحكم، وهو حكم ظاهره الجَوْر، وحسبُك ألّا يكون مُستندًا إلى دليل شرعيّ أو عقليّ، بل إن الجن كانوا أحسن من الإنس سماعًا للقرآن الكريم من رسول الله، فكانوا يقولون لمّا قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة الرحمن وجعل يقرأ: «فبأي آلاء ربكما تكذبان» كانوا يقولون عندها: ولا بشيءٍ من آلائك ربَّنا نكذِّب فلك الحمد. أمثل هؤلاء أجهل العالم الطبيعي بالله وصفاته؟!

به من حوادث الأكوان، وما يقع في العالم ومن العالم - أن ذلك كرامة [من] الله له، وهيهات فإن غاية ما يمنحونه لمن يجالسهم أن يُطلعوه على شيء من خواصّ النبات والأحجار والأسماء والحروف، وذلك [كله] معدودٌ من علم السيمياء، فما اكتسب هذا [المجالس] منهم إلا العلم الذي ذمّته الشرائع.

وممّا جُرّب أنّ من أكْثَرَ مجالستهم صار عنده تكبُّر على الناس، ومَنْ تكبّر مقته الله تعالى، وأدخله النار، كما جاءت به الآيات والأخبار»[١].

قلت: وقوله: «فما اكتسب هذا... إلخ» لا يخلو من غموض ولَبْس، فأنا حينما أعرف مثلاً خاصيّة نباتٍ معيّن كخاصية الأترج في طرد الجان - أكون قد اكتسبت عِلْمًا ذمّته الشرائع(؟!) ثم أين نصوص الشرائع التي ذمّت مثل هذه المعرفة كما يزعم؟ فاكتساب مثل هذا نوعٌ من المعرفة، والشرائع كلها تدعو إلى العِلْم والمعرفة، ما دام العلم والمعرفة لا يحرّمان حلالاً، ولا يحلّلان حرامًا، وما دام العلم يُكتسب بطريقة لا تخالف الشرع، ولو أنه قد أهمل هذه النقطة، لاستقام له وجه الكلام في هذه الجزئية.

✿ ✿ ✿

(١) انظر اليواقيت والجواهر - ص (١٣٨) وما بعدها - الجزء الأول - الطبعة الأخيرة، مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة. وقوله: «الأخبار» أي: الأحاديث، واعلم أن الخبر أعمّ وأشمل من الحديث، فيشمل ما جاء عن النبيّ وغيرَه. أما الحديث فخاصٌّ بما ورد عن النبي ﷺ. والله أعلم.

مساكن الجن

قال الحافظ[١]: قد روى ابن أبي الدنيا، من طريق يزيد بن يزيد بن جابر - أحد ثقات الشاميّين، من صغار التابعين - قال: «ما من أهل بيت إلّا وفي سقف بيتهم من الجن، وإذا وُضع الغداء نزلوا فتغدوا معهم، والعشاء كذلك». اهـ.

يؤخذ من الحديث أن هناك طائفة من الجن تسكن البيوت[٢]، وأكبر الظنّ أن هذه الطائفة هي التي يُطلق عليها الروحانيُّون من البشر عُمّارَ البيوت، و«من» من قوله عليه السلام: «ما من أهل بيت» - لها دلالة لُغويّة قويّة، فهي حرف جر زائد، وهو حينما يدخل الكلامَ يدلُّ على أن الخبر قد صار في مصافّ اليقين، بخلاف ما إذا كان الخبر مجرّدًا منه أو من غيره من الحروف الزائدة الأخرى التي تؤدي نفس الغرض، فحينئذٍ يكون الخبر ممّا يصحّ فيه الصدق والكذب، وفرقٌ شاسع بين التعبيرين والمدلولين، وكأني بالرسول ﷺ يريد أن يقول لهم: إن الإخبار الذي تضمنته هذه العبارة لا يحتمل الكذب أبدًا، وإنما هو حق يقين واقع لا شك فيه ولا مراء؛ لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلّا وحي يُوحى، وبهذا كان الحرف في موضعه هذا دالًا على ما يتمتّع به النبيّ ﷺ من فصاحة وبلاغة، وهو الذي قد أوتي جوامع الكَلِم.

وعن زيد بن أرقم، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء، فليقل: اللّهم، إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»[٣].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦/ ٣٤٥).

(٢) انظر صحيح مسلم (٧/ ٩٣، ٩٤- نووي).

(٣) أبو داود- كتاب الطهارة - باب (٣)، والنسائي - كتاب الطهارة- باب (١٧)، وابن ماجه - كتاب الطهارة - باب (٩)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٦٩).

الحُشُّ: البُستان، والنخل المجتمع، والمُتَوَضَّأ. جمعه حشوش وحُشَّان. والخلاء من الأرض: الفضاء الواسع الخالي. ومن الأماكن: الذي لا أحد به، ولا شيء فيه. ومحتضرة، أي: تحضرها الجن. والخبث والخبائث كناية عن ذكور الجن وإناثهم، والخبيث منهم غير مسلم، إذ لو كان مسلمًا لما دخل الخلاء، واتخذه له مسكنًا.

والحديث معناه واضح، ففيه إخبار بأن الأماكن الخالية، ومنها دورات المياه - تحضرها الجن، فإذا أراد أحد من الناس أن يذهب إليها، أو أن يدخلها، فليدع قبل أن يأتيها بهذا الدعاء المذكور، وقد خص الدعاءُ الخبيثَ منهم؛ لأنه هو الذي يسكن تلك الأماكن دون غيره من الجن.

وروى النسائي(١) بسنده عن قتادة عن عبد الله بن سرجس، أن النبيّ ﷺ قال: **«لا يبولَنَّ أحدكم في جحر»**. قالوا لقتادة: وما يكره من البول في الجُحر؟ قال: يقال: إنها مساكن الجن. اهـ.

قلت: والجُحر حُفرة تأوي إليها الهوام، وصغار الحيوان، والجمع أجحارٌ وجِحَرَة كعنبة، ولعلّ النهي عن البول فيها بسبب ما يكون فيها من هوام قد تتعرّض لمن يبول في تلك الجحور بنوع من الأذى، وليس لأنها مساكن الجن، خصوصًا أن قتادة رَحِمَهُ اللهُ قد صدّر جوابه عن سؤالهم بكلمة «يُقال»، وهي صيغة من صيغ التضعيف. والله أعلم.

۞ ۞ ۞

---

(١) النسائي - كتاب الطهارة - باب (٢٩).

الجن والقرآن

جاء في التفسير أن نفرًا من الجن استَمعوا للقرآن من النبي ﷺ وهو يصلّي ببطن نخلة، وتعبيرًا عن ذلك يقول القرآن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾، أي: قال بعضهم لبعض: أمسكوا عن الكلام، واستمِعوا منصتين. وقيل: إنهم كانوا يهودًا. وقيل: إنهم كانوا مشركين(١).

للكلام في الطباع والنفوس تأثير عظيم، فنجد الإنسان يغضب غضبًا شديدًا إذا سمع ما يسوءُه، ورُبَّما حُمَّ منه أو مات، وكم من الأخبار الكاذبة قتلت نفوسًا، كما نجده يفرح فرحًا شديدًا، إذا ما سمع شيئًا أعجبه، ومسّ شَغَاف قلبه، وكأن الكلام قد أهدى إليه شيئًا ثمينًا، أو عُمرًا إلى عُمره، أو جعله من الخالدين.

وقد كان لكلام الله (جلّ في علاه) أكبر الأثر على نفوس هؤلاء النفر من الجن، فقد لامس الكلام الرّبانيّ شَغَاف قلوبهم، وامتلك حواسَّهم، وأثار إعجابهم، حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾(٢) فما أجمل ما عبّروا به: إنا سمعنا قرآنًا عجبًا، رائعًا تأخذ المُستمع روعتُه، وتُخاطب كلماتُه فطرتَه، فاستعظمناه في قلوبنا، فآمنّا بالله ربًّنا.

قال الإمام الدميري(٣):

وفي كتاب [خير البشر خير البِشْر] للإمام العلّامة محمد بن ظفر عن ابن

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج (٥/ ٢٣٣) تحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي، مكتبة دار الحديث بالقاهرة.

(٢) سورة الجن (١، ٢).

(٣) حياة الحيوان الكبرى للدميري (١/ ٢٩٠) - حرف الجيم (الجن)، مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة.

عباس رضي الله عنهما أنه قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ[١]، وقد حيل بين الشياطين وخبر السماء، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشُّهُب، فقالوا: ما ذاك إلّا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فالتقى الذين أخذوا نحو تِهامة [مع] النبي ﷺ وأصحابه، وهم بنخلة[٢] عامدين إلى سوق عكاظ، وهو ﷺ يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن، أنصتوا له، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، ورجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ الآيتين.

وهذا الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما أوّل ما كان من أمر الجن مع النبي ﷺ ولم يكن النبيُّ ﷺ قد رآهم إذ ذاك، وإنما أوحي إليه بما كان منهم. اهـ.

وفي الحديث دليل على ما تتمتع به الجن من قدرة فائقة على التنقل من مكان إلى مكان، ذلكم الدليل هو قولهم: «فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها»، ويشهد بقولهم هذا ويُؤيِّده ما في الآية التاسعة والثلاثين من سورة النمل، ونصها: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ الشاهد من الآية قوله: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ ومعلومٌ من كتب التفسير أن مقام سليمان ﷺ كان من الغداة إلى منتصف النهار، وهذا الوقت غير كافٍ لنقل العرش من مكانه الذي هو فيه إلى المكان الذي فيه سليمان ﷺ بالنظر إلى القدرة البشرية الطبيعيّة، أمّا الجن فهم قادرون على مثل هذا، بل على ما يفوق هذا بكثير، ألم تسمع إلى قول الله سبحانه حكاية لقول أحدهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ فالضمير في (منها) عائد إلى

(١) موضع بين مكة والطائف.

(٢) مكان على مرحلة من مكة. (معجم البلدان). والمرحلة: المسافة يقطعها السائر ما بين المنزلين (ج) مراحِل. (المعجم الوجيز).

السماء، بدليل ذكرها في الآية السابقة لهذه الآية، وهذا معناه أنّ لديهم القُدرة على الصعود إلى أماكن لم يصل إليها الإنسان بطائراته وصواريخه حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها هذه السطور، وهذا ممّا يعجب الإنسان له، ولكن لِمَ العجبُ، والله هو الذي أمدّهم بتلك القُوى؟ فسبحان القادر على كل شيء!

۞ ۞ ۞

الزواج من الجن

قال القرطبي[١]:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[٢] - جعل بمعنى خلق، يعني آدم خلق منه حوّاء. وقيل: المعنى جعل لكم من أنفسكم. أيْ: من جنسكم ونوعكم، وعلى خلقتكم [. . .[٣]]، وفي هذا ردّ على العرب التي كانت تعتقد أنها تزوّج الجن وتُباضعُها [. . .[٤]]. وهذا من أكاذيبها، وإن كان جائزًا في حكم الله وحكمته. اهـ. مختصرًا.

قلت: حَسَنٌ **أن يقدِّم الإنسان دليلًا على كلامه، وقَبيحٌ أن يُخطئ في** تَوجيه هذا الدليل الذي قدّمه، هذا في الدليل، فما بالك إذا كان تكذيب القرطبي للعرب فيما زعمت - مبنيًا على مجرّد رأي في تفسير الآية، صدّره هو نفسه بكلمة «قيل»، وهي صيغة من صِيَغ التضعيف، ثم بنى على هذا الرأي تكذيبه للعرب في أنها كانت تزوّج الجن، **وهذا عجيب منه حقًا**، وأعجب منه تعقيبه بقوله: «وإن كان جائزًا في حكم الله وحكمته». فيا تُرى ما الذي يقصده القرطبي بعبارته تلك(؟!) فإن كان يقصد بها جوازه شرعًا، **فهذا نقض لتكذيبه**؛ إذ ليس هناك غرابة في أن تتزوج العرب من الجن، ما دام الزواج منهم جائزًا، وإن كان يقصد بها عدم جوازه شرعًا، مستدلًا بالآية

---

(١) تفسير القرطبي - ط الأولى - المجلد الخامس - الجزء العاشر ص (٩٣) والتي بعدها، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.

(٢) سورة النحل (٧٢).

(٣) نص محذوف للاختصار.

(٤) نص محذوف للاختصار.

الكريمة، **فسياق الآية لا يساعده على ذلك**، فإن غاية ما تفيده الآية الإخبارُ بما منّ الله به على آدم ﷺ، بأن خلق له حواء من ضلعه(١)، ليسكن إليها، ويستمتع بها، ولتحصُل بينهما المشاركة في الحياة بكافة صورها المشروعة، ممَّا يكون سببًا في تعمير الأرض، لتكون مهيّئة ومعبّدة للعبادة التي ما خُلقت الجن والإنس إلّا لأجلها كما نطقت بذلك آيات القرآن، وإن كان يقصد بها جواز وقوعه بقدرة الله تعالى، فهذا تحصيل حاصل، فقدرة الله مطلقة، لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألون، ثم إنه إذا كان جائزًا وقوعُه بقدرة الله، وقد أخبرت العرب بوقوعه، فلِمَ التكذيب إذًا(٢)(؟!)

---

(١) جاء في ظلال سيد قطب (٣/ ١٢٦٨): «كل الروايات التي جاءت عن خلقها من ضلعه مشوبة بالإسرائيليات، فلا نملك أن نعتمد عليها. والذي يمكن الجزم به هو فحسب أن الله خلق له زوجًا من جنسه، فصارا زوجين اثنين». ثم رجح بعد كلام له آخر، جاء بعد الفقرة السابقة التي نقلناها بنصها أن خلقها قد تم على نفس الطريقة التي تم بها خلق آدم!! وفي الحقيقة فأنا معه في شطر عبارته الأول دون الثاني الذي يبدأ بقوله: «والذي يمكن الجزم به» إلخ؛ لأن ظاهر آية النساء وهو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ صريح في أنها مخلوقة من هذه النفس الواحدة لا من أصلها الذي هو التراب، أو بعبارة صاحب الظلال: لا من جنسها الذي هو التراب. وخلاصة ما نميل إليه أن حواء أمنا مخلوقة بصريح الآية من النفس الواحدة، وهي آدم (عليه السلام) دون نص على موضع خلقها منه، هل من ضلعه؟ هل من عينه؟ هل من يديه؟ هل من رجليه؟ هذا مما لا يمكن الجزم به، ولكنني مع كل هذا قد رأيت أن أذكر الضلع لشهرته، مكتفيًا في شكي فيه بهذا الإيراد؛ إذ لو لم أذكره، لما عُرِف ما ورد في هذا الإيراد، والله الموفق.

(٢) الألف المُبدلة من نون «إذن» يكتبها البصريون ألفًا، وهو رسم المصحف، وكتبها المازنيّ والمبرِّد بالنون، ويُروى عن المبرِّد أنه قال: أشتهي أنْ أكوي يَدَ مَنْ يكتب «إذن» بالألف؛ لأنها مثل «أنْ» و«لنْ». وقال الفرّاء: إنْ أُهملتْ كُتبت بالألف، وإلّا كتبت بالنون. قال عبد السلام هارون شيخ المحققين: والذي عليه المعاصرون الآن كتابتها بالنون مطلقًا. قلت: وإنما رسمتها في هذه الرسالة بالألف تبرّكًا برسم المصحف الشريف، ولا ضيرَ من أن يكوي المبرد يدىً في سبيل ذلك، كما أنه مذهب أكبر مدرسة نحوية عرفها التاريخ. والله أعلم. وانظر: النحو الوافي لعباس حسن جـ ٤ ص ٣١٢.

ومهما يكن من أمر، فعبارة الإمام القرطبي (رحمه الله) لا تخلو من غموض بالنظر إلى ما قبلها من كلام، غير أن معناها لا يكاد يخرج من أن يكون واحدًا ممّا ذكرناه، والله تعالى أعلم.

وقال ابن كثير[(١)] عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[(٢)] ما نصه: ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورًا، وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم، إمّا من جان، أو حيوان؛ لما حصل الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نُفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس. اهـ.

قلت: ونبرة ابن كثير أهدأ من نبرة القرطبي (رحمهما الله) بَيْدَ أنه يقول: «لما حصل الائتلاف بينهم وبين الأزواج... إلخ» ولا أعلم كيف إذا خلق الله لنا أزواجًا من غير الجنس تحصل النفرة، **أليس الذي خلقها لنا بقادر على** أن يجعل بيننا وبينها مودة ورحمة وألفة(؟!) فما أرى هذه النُفرة إلّا مزعومة، خصوصًا أن الزواج من الجن كثير معروف، فلو كان اختلاف الجنس هو الذي يُحدث النُفرة لما كثُر، ولتوضيح ذلك أسوق إليك عبارة صرّح فيها شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) بوقوع ذلك وكثرته، فاسمع إليه يقول: «وقد يتناكح الإنس والجن، ويُولد بينهما ولد، **وهذا كثير معروف**، وقد ذكر العلماء ذلك وتكلّموا عليه، **وكَرِه أكثر العلماء**[(٣)] مناكحة الجن»[(٤)]. اهـ.

فها هي ذي عبارته (رحمه الله) تُصرّح بأنه كثير معروف، وتلك الكثرة

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير - الجزء الثالث - ص (٤٢٩)، مكتبة دار التراث بالقاهرة.

(٢) سورة الروم (٢١).

(٣) منهم الحسن وقتادة والحكم وإسحاق والإمام مالك، وإن كان كلامه في حق المرأة فقط خشية أن يكثر الفساد في الإسلام بذلك. وانظر كتاب [الإلهام والوسوسة] باب: نكاح الجن.

(٤) الفتاوى (١٩/٣٩). والدلالة في عموم الرسالة والتعريف بأحوال الجن، لابن تيميّة - ص (٢٥). نشر مكتبة التوعيَة الإسلاميّة بالقاهرة.

تُشكّك في النُّفرة التي زعمها ابن كثير (رحمه الله)، وقد صرّحت العبارة أيضًا بأن أكثر العلماء كرهوا مناكحة الجن، ولم يُحرّموها، فلو كانت الآية التي قرأها القرطبيّ وابن كثير (رحمة الله عليهما) دليلاً على التحريم، لَما أهملها ابن تيميّة، ولذَكرها؛ ليَردَّ بها على من كرهوا ذلك، ولم يحرّموه، إذ لا يحسُن بعالم مثلهِ أن يُؤخِّر البيان أو الحكم عن وقت الحاجة، كما يبعُد أن يكون ابن تيمية (رحمه الله) قد نسي الآية وهو يتحدّث عن موضوعٍ أشارت إليه الآية من قريب، خصوصًا أن الكاتب يراجع ما كتبه مرّات عديدة، فلو نسيها في المرة الأولى لتذكّرها في المرّات اللاحقة، وعليه فلنا أن نستأنس بسكوته هذا، والذي يُعدُّ إقرارًا منه بالموافقة على الكراهة فقط، ونخرج من هذا بأنَّ الزواج من الجن مكروه عند كثير من العلماء وليس حرامًا؛ **إذ لا دليل على حُرمته.**

ملاحظة: قال ابن تيمية (رحمه الله تعالى): «ويولد بينهما ولد» وهذه النقطة فيها تفصيل شرحناه في فصل [تناكح الجن وصورته] أما من قال بمنع الحمل جازمًا بذلك[1]؛ لاختلاف النطفة وأماكن التكوين، فمردود عليه من وجهين:

أولهما: أن الجن مع التمثل يأخذ كل خصائص الصورة التى تمثل فيها، فأماكن التكوين تكون طبيعية جدًا، ولا يوجد الاختلاف في الطبيعتين الموجب لاستحالة التناسل، وبهذا ينهار كلام الماوردي الذي نقله عنه القرطبي في تفسيره بمنافاة خبر أحد أبوي بلقيس لحكم العقل، وإن كان الخبر فاسدًا من

---

(١) قال بمنعه صاحب كتاب (حِوارٌ صحفيٌ مع جنيٌ مسلم) الأستاذ محمد عيسى داود - ص (١٠٥) والتي بعدها، من الطبعة الأولى. وقد أخذ رأيه هذا من الجن، ولا نعلم صدقه معه فيما أخبره به، ومن العجيب أن يجعل المؤلف إخبار الجن هذا من المسلمات، فسبحان الله!

حيث الصناعة الحديثيّة، وفساده من هذا الجانب لا يعني ما قاله الماوردي مطلقًا كما لا يخفى.

ثانيهما: أن القول باختلاف أماكن التكوين بعد التمثل مجرد ادّعاء لا دليل عقليًا أو شرعيًا عليه. وعلى كلٍّ فهذا كله يخصّ الإنجاب هل يقع أو لا يقع، ولا دخل له في أصل المسألة، وهو جواز الزواج منهم فتنبَّه.

والحق يُقال، إن اختلاف الجنس الذي تشبَّث وتعلّق به المانعون - قد تُعَكِّر عليه إمكانيةُ تشكُّلِ الجنّ، فالجني إذا تشكّل في صورة آدميّ مثلاً صار من جنس الآدميّين باعتبار ما هو عليه بعد تشكله، ولا يَشُكّ عاقل في ذلك، كما أنه إذا تشكّل في صورة حمار مثلًا، صار من جنس الحمير باعتبار ما هو عليه بعد تشكُّله أيضًا، وهكذا.

فاختلاف الجنس متعلّق بما إذا كان الجنيُّ على صورته التي عليها خلقه الله ابتداءً، والتي يستطيع وهو فيها أيضًا أن يجتمع مع إنسيّ في لقاء جنسيّ بالصورة التي بيناها في [تناكح الجن وصورته]، وهي التي تكون كالاستحلام بالنسبة للإنسيّ، وعليه فإذا كان اختلاف الجنس هو العلة في التحريم، فالزواج منهم جائزٌ وهم على صورة بني آدم مثلًا؛ لانعدام العلة فيه، هذا إذا سلّمنا لهم بأن اختلاف الجنس هو علة التحريم، فالآية لم تُشر إلى هذا من قريب أو بعيد، **وليس فيها ما يوجب التحريم** كما قد بيّنّا آنفًا، والله تعالى أعلم.

شبهة وردّ: قد يُقال: إن المقصود باختلاف الجنس هو اختلاف الأصل، والجنيُّ إذا تحوّل عن صورته التي عليها خلقه الله، لا يكون قد تحوّل عن الأصل الذي عليه خُلق، وإنما يكون قد تحوّل عن الفرع، وعليه فاختلاف الجنس لا يزال قائمًا، ولم ينعدم بهذا التحول.

والجواب في هدوء: فرضنا جدلاً أن هذا هو المقصود، وسلّمنا لكم به، ولكن ما الدليل على أن اختلاف الجنس علة تحريم؟ فلو استدللتم بالآية، لقلنا لكم في هدوء أيضًا: لو كانت الآية دليلًا على ما إليه ذهبتم، لما خفي وجه

دلالتها على ابن تيمية وعلى مَنْ كرهه من العلماء، كما أن **ظاهر الآية لا يساعد على ذلك** كما قلنا آنفًا.

قال الدميري[١]: كان الشيخ عماد الدين بن يونس (رحمه الله) يجعل من موانع النكاح[٢] اختلاف الجنس، ويقول: لا يجوز للإنسيّ أن يتزوّج جنيّة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. فالمودّة: الجماع. والرحمة: الولد.

ونصَّ على منعه جماعة من أئمة الحنابلة. وفي الفتاوى السراجيّة:

لا يجوز ذلك؛ لاختلاف الجنس. وفي مسائل ابن حرب عن الحسن وقتادة أنهما كرها ذلك. ثم روي بسند فيه ابن لهيعة أن النبي ﷺ نهى عن نكاح الجن.

وروى ابن عديّ في ترجمة نعيم بن سالم بن قنبر مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: قَدِم علينا نعيم بن سالم مصر، فسمعته يقول: تزوّجت امرأة من الجن، فلم أرجع إليه.

قال شيخ الإسلام شمس الدين الذهبيّ (رحمه الله تعالى):

رأيت بخط الشيخ فتح الدين اليعمري، وحدّثني عنه عثمان المقاتلي: سمعت الشيخ أبا الفتح القشيري، يقول: سمعت الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، يقول وقد سئل عن ابن عربي... فقال: شيخ سوء كذّاب. قيل له:

---

(١) حياة الحيوان (١/ ٣٠٢) حرف الجيم (الجن)، مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة.

(٢) قول الدميري: ... يجعل من موانع النكاح... إلخ - قد يُوهم أن موانع النكاح كثيرة، ومنها اختلاف الجنس، ولا أعلم على كثرة ما قرأت في هذا الموضوع - شيئًا يجعلونه مانعًا إلا اختلاف الجنس، وعليه يدور كلامهم، فتنبّه، ولا تغترّ بعبارته رحمه الله.

وكذّاب أيضًا؟ قال: نعم، تذاكرْنا يومًا نكاح الجن، فقال: الجن روح لطيف، والإنس جسم كثيف، فكيف يجتمعان(؟!) ثم غاب عنّا مدّة، وجاء وفي رأسه شجّة، فقيل له في ذلك... فقال: تزوَّجت امرأة من الجن، فحصل بيني وبينها شيء، فشجّتني هذه الشجّة.

قال الشيخ الذهبي بعد ذلك: وما أظنُّ ابن عربي تعمّد هذه الكذبة، وإنما هي من خرافات الرياضة. اهـ. ما نقله الدميري.

قلت: وقول الإمام الذهبي (رحمه الله): «وإنما هي من خرافات الرياضة» - إمّا أنه ينفي به إمكانية تناكح الإنس والجن، وإمّا أنه يراه ممكنًا، ولكنَّه غير جائز شرعًا، فإن كان قد قصد الأول فهو وهم[1] منه بلا شك؛ لأن فقهاء الإسلام تكلّموا عن حكم الزواج من الجن، فمنهم من جوّزه، ومنهم من منعه، ومنهم من كرهه، وفي هذا دليل قاطع على إمكانية وقوعه؛ إذ إنّ غير الممكن لا يُحكم عليه بجوازٍ أو منعٍ في الشرع. وإن أراد الثاني، فقوله مفتقرٌ إلى دليل، فلو أنه ذكر الآية التي في سورة النحل، أو التي في سورة الروم مستدلًا بها، لرددنا عليه أيضًا بما رددنا به على الإمامين القرطبي وابن كثير.
ثم إن اتهام الشيخ عز الدين بن عبد السلام لابن عربي بالكذب - غيرُ مبنيّ على أساس سليم؛ لأن ابن عربي كان قد قال ما هو له معتقد، من استحالة تناكح الإنس والجن، ثم تبيّن له إمكانية ذلك بعد أن تزوج هو نفسه منهم، إذ ليس في القصة ما يدل على أنه كان متزوجًا منهم قبل أن يقول ما قاله لابن عبد السلام، **وإذا صحّ ذلك فأين الكذب إذًا(؟!)**

وأما الرياضة التي أشار إليها الإمام الذهبي (رحمه الله) فهي عبارة عن طقوس يُقام بها قبل البدء في الشيء، إذ إنها شرط لصحته، ومن صورها على سبيل المثال لا الحصر - قطع المألوفات والمشتهيات، وتقليل الغذاء،

---

(١) الوهم: الغلط والخطأ. (المعجم الوجيز).

والانقطاع عن مخالطة الخلق، والجلوس في الأماكن المظلمة مع مصاحبة الذكر، وقد تشتمل على الشرك (عياذًا بالله) وقد لا تشتمل. والله أعلم.

وإليك بعض أقوال لمن أجاز ذلك من العلماء، نقلها إلينا الدميري في كتابه [حياة الحيوان الكبرى](١) قال:

«سئل الحسن البصري عن الزواج من الجن.. فقال: يجوز بحضرة شاهدين. وعن زيد العميّ أنه كان يقول: اللَّهمّ، ارزقني جنيّة أتزوج بها، تصاحبني حيثما كنتُ.

وروي في ترجمة سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أحد أبوَيْ بلقيس كان جنيًا»**(٢).

وقال الشيخ نجم الدين القمولي:

وفي المنع من التزويج نظر؛ لأن التكليف يعمُّ الفريقين(٣). قال: «وقد رأيت شيخًا كبيرًا صالحًا، أخبرني أنه تزوّج جنيّة».

ثم قال الدميري معلّقًا: «وقد رأيت أنا رجلاً من أهل القرآن والعلم، أخبرني أنه تزوّج أربعًا من الجن، واحدة بعد واحدة، ولكن يبقى النظر في

---

(١) للإمام الدميري (١/ ٣٠٢) - حرف الجيم (الجن).

(٢) قال ابن كثير في قصص الأنبياء الجزء الثاني: حديث غريب، وفي سنده ضعف. اهـ وانظر: نساء خالدات لحسن محمد جوهر ص ٥٧ .

(٣) قال ابن مُفلح في كتاب الفروع: «الجن مكلّفون في الجملة إجماعًا». وقال الإمام الرازي في التفسير الكبير: «اتفق الكل على أن الجن كلهم مكلّفون».

قلت: وقوله: «اتفق الكل» خطأ لُغوي، حيث أدخل «ال» على كلمة «كل» وقد نص الإمام ابن خالويه النحوي، والإمام الأصمعي على منعه؛ لأن العرب لا تُدخل عليه «ال»؛ لأنه معرفة في نية الإضافة. وأجازه الفارسي، والجوهري وصاحب القاموس، وفي إجازته نظر. وانظر المُزهر للسيوطي (٢/ ١٥٨) - ط الثالثة- نشر دار التراث بالقاهرة.

حكم طلاقها ولعانها والإيلاء منها وعدتها ونفقتها وكسوتها، والجمع بينها وبين أربع سواها، وما يتعلق بذلك، وكل هذا فيه نظر لا يخفى». اهـ.

مغالطات: وقفت على كتاب بعنوان [كيفيّة زواج الجان من بني الإنسان] لأبي محمد جمال بن محمد الشّاميّ، وفيه قال مؤلفه مستدلًا على عدم مشروعية الزواج من الجني - ما نصُّه: وأما عدم حصول الإذن من الشرع في نكاحهم، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].

والنساء اسم للإناث من بنات آدم خاصة، والرجال إنما أُطلق على الجن لأجل مقابلة اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية. اهـ.

قلت: وكلامه هذا فاسد من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن كلمة النساء ليست خاصة ببنات آدم كما زعم؛ لأن هذا القول مفتقر إلى دليل، فليس هو إلّا ادعاء.

ثانيها: أن الأمر بالشيء ليس مانعًا من غيره، فلو أن قائلًا أمرك بالأكل من البرتقال مثلًا، فليس أمره لك بأن تأكل من البرتقال - مانعًا لك من أن تأكل من غيره من الفواكه.

ثالثها: أنه يقول: والرجال إنما أُطلق على الجن لأجل مقابلة اللفظ... إلخ ولعلّه يريد بمقابلة اللفظ مشاكلته؛ لأن بين المقابلة والمشاكلة بونًا شاسعًا، وعلى كلٍّ فالآية خالية من فن المشاكلة تمامًا؛ لأن المشاكلة هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، كقول القائل: ظلمني فظلمتُه.. يريد أنه أخذ حقه منه، فسمّى أخذ الحق ظلمًا على سبيل المشاكلة. أمّا الآية فما المانع من أن يكون رجال الجن فيها على حقيقة التسمية(؟!)

ثم يختم المؤلف فصله هذا بقوله:

«هذا ما تيسّر لي في الجواب، وفتح الله تعالى عليَّ به، وخير للمسلمين

ألّا يُتعبون (هكذا برفع الفعل المضارع، وحقُّه أن يُنصب) عقولَهم بهذا الأمر، فنحن في زماننا لا نستطيع تحمل معاملة الإنس، فكيف نتعامل مع الجن فالأفضل طرحه جانبًا». اهـ.

قلت: فإن كان المؤلف يرى أن البحث في هذا الموضوع فيه إجهاد للعقول وتعب لها فلِمَ بحث فيه هو، إن جاز لنا أن نُسمِّي ما فعله بحثًا(؟!) ولِمَ تفنَّنَ في بعض المسائل اللُّغويّة دون إدراك منه لمفهومها، ودون أن يستند إلى قولٍ واحدٍ لأحد علماء اللغة(؟!) ولِمَ حاول تأويل الآية على الوجه الذي يريده، فيجزم - دون دليلٍ- بأن لفظ النساء خاصٌّ ببنات آدم(؟!) وهذا عجيب منه حقًّا.

ثم يقول مُعمِّمًا: فنحن لا نستطيع في زماننا أن نتحمّل معاملة الإنس، ولا أدري من أين أتى بهذا العموم، ولو كانت صعوبة المعاملة مانعةً من الزواج مثلاً لما تزوّج أحد من الإنس أيضًا، بل إن نساء الإنس قد تكون واحدة منهنّ أشدَّ شراسةً على زوجها من نساء الجن كافة، ومع ذلك فعلى الإنسان أن يتحمّل معاملة زوجته قدر استطاعته، فإن سَخِط عليها في أمر، رَضِي عنها في آخر. والله المستعان[١].

۞ ۞ ۞

---

(١) وانظر النقول التي أوردناها عن المؤلف ص (٢٣، ٢٤) من كتابه. ولقد أكثر المؤلف في كتابه من النقل، ولو أننا جمعنا ما قاله هو لما زاد على صفحة واحدة مليئة بالركاكة والضعف واللحن. فالله المستعان.

إمكانية رؤية الجن

يعتقد الكثيرون أن رؤية الجن من مصافّ المستحيلات، وهو مما يعجب الإنسان له عجبًا لا ينتهي، وقد يرجع سبب هذا الاعتقاد إلى ما يسمعونه من أن الجن أجسام هوائية، ومعلومٌ أن الهواء لا يُرى في حالته الطبيعيّة، فكذلك هي، **وما زاد الطين بلّة** أن نجد بعض مَنْ ينتسبون إلى العلم يُنكرون إمكانية رؤية الجن متمسّكين بالآية الكريمة التي تقول: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[1].

وتعميمهم لهذه الآية الكريمة على كل حالة يكون فيها الجن - تعميم يثير الدَّهَش والعجب والاستغراب؛ لأن غاية ما تفيده الآية الكريمة من عدم إمكانية رؤيتهم إنما هو مخصوص بما إذا كان الجنيّ على صورته الهوائية التي عليها خلقه الله، كما أن الهواء لا يُرى وهو على حالته الطبيعية، أما إذا تجمّد أو صار سائلًا أو تكاثف أمكن إدراكه، والجن كذلك، وإلّا فكيف رآه الصحابي الجليل أبوهريرة ﷺ وهو يحثو من طعام زكاة رمضان، في الحديث الذي رواه معلّقًا تعليقًا مجزومًا به شيخ المحدّثين الإمام البخاري ﷺ ؟![2].

ولكن لا يمنع أن يُقدر اللهُ بعض مخلوقاته على رؤية الجن في حالته الهوائية؛ ومن هذه المخلوقات التي أقدرها الله على رؤية الشيطان - الحمارُ، فقد ورد فيما اتفق عليه البخاري ومسلم[3] رضي الله عنهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوّذوا بالله من الشيطان؛ فإنها رأت**

---

(١) الأعراف (٢٧)، والقبيل: الجنس. والله أعلم.

(٢) البخاري (٤/ ٤٨٧ فتح)، و (٦/ ٣٣٥ فتح).

(٣) البخاري (٦/ ٣٥٠) بشرح ابن حجر، ومسلم (١٧/ ٤٧) بشرح النووي.

شيطانًا، وإذا سمعتم صياح الديكة، فسلوا الله من فضله؛ فإنها رأت مَلَكًا». اهـ.

قال الدميري[١]: «روى النسائي والحاكم عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير في الليل، فتعوّذوا بالله من الشيطان الرجيم؛ فإنها ترى ما لا ترَوْن، وأقلّوا الخروج إذا هدأت الرِّجل؛ فإن الله يَبُثُّ في الليل من خلقه ما شاء**». قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم». اهـ.

فالكلب من جملة المخلوقات التي ترى الشيطان، وإن كان لفظ هذا الحديث لم يُصرّح بذلك، كما صرّح الحديث الذي قبله، إلّا أن السياق يساعد على ذلك، بقرينة ذكر التعوّذ بالله من الشيطان الرجيم. «والرجيم: فعيل بمعنى مفعول؛ أي: مرجوم بالطرد واللّعن، وقيل: هو فعيل بمعنى فاعل؛ أي: يرجم غيرَهُ بالإغواء»[٢].

وقوله ﷺ في الحديث: «**في الليل**» - لا يُفيد أنه إذا سمع الإنسان نُباح الكلاب ونهيق الحمير في النهار لا يستعيذ، كما قد يفهم بعضهم، وإنما غاية ما يفيده أن حاجة الإنسان إلى الاستعاذة في الليل عند سماع ذلك أشدُّ من حاجته إليها عند سماع ذلك في النهار؛ «لأن السواد أجمع للقُوى الشيطانيّة من غيره، وفيه قُوّة الحرارة»[٣] وعليه فالاستعاذة عند السماع مطلوبة في الحالتين. والله أعلم.

وجديرٌ بالذكر أن الجنيّ إذا تشكّل في صورة ماديّة حكمتْهُ قوانين تلك الصورة،

---

(١) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٣٤١) حرف الحاء (الحمار).

(٢) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، ط الثانية (١/ ٢). تحقيق علي محمد البجاوي - نشر دار الجيل، بيروت.

(٣) رسالة الجن، لابن تيمية - ص (٤١).

فإذا تشكّل مثلاً في صورة إنسان خضع لقوانين الإنسان، فإذا أطلقت عليه النار مات من فوْرِهِ، كما أشار إلى هذا الشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمه الله)[١].

كما أن الجنيّ لا يستطيع أن يُغيِّر من صورةٍ هو عليها إذا أمسك به إنسان، أو غيَّر شيئًا من أجزائه، ودليل المسألتين حديث الجنيّ الذي كان يسرق من مال الصدقة، والذي أمسك به الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، وهذا يدلّ على أن قوانين الإنسان قد تحكّمتْ فيه، ثُمَّ إن الجني لم يستطع أنْ يُغيِّر من صورته وهو مُمْسَكُ به، إذ لو استطاع لفعل، ولنجا بنفسه من قبضة الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، فدلّ ذلك أيضًا على أن هذا ليس في مقدوره، وهو مُمْسَكٌ به. والله أعلم.



(١) انظر كتاب السحر والحسد له - ص (٣٨).

حول تعريف السِّحْر

«السحر حقٌّ، على معنى أنه ثابت واقع، والدليل على صحّته إجماع الأُمم سلَفًا وخَلَفًا، وإجماع أهل الكتاب كلهم من الهند والروم والفرس، وآيات القرآن ناطقة بذلك، ولم يُنكره إلّا المعتزلة والروافض والدهريّة[1]، وهم محجوجون بالنصّ والإجماع، وبالواقع الذي يشهد بوجوده»[2].

ولقد اضطرب العلماء في تعريف السحر اضطرابًا لا يُنكره أحد إلّا مجادلٌ يُحب الجدال لأجل الجدال، **وليس له حظّ من العلم ولا نصيب**؛ ولذا رأيت أن أُحلّق بك -أيها القارىء العزيز- في سماء هذا الموضوع، علّنا نخرج بنتيجة تُرضينا، وتستريح إليها نفوسُنا، فالله أسأل أن يوفّقنا في هذا، وما توفيقنا إلا بالله.

جاء في المعجم الوجيز، مادة (س ح ر) ما يلي:

السِّحْرُ: كل أمر يخفى سببه، ويُتخيَّل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، وكل ما لطُف مأخذه ودقّ. (ج) أَسْحَار وسُحُور. اهـ.

وجاء في كتاب [فتح المجيد]: أنّ «السِّحر في اللغة عبارة عما خفي ولطُف سببُه؛ ولهذا جاء الحديث: **«إن من البيان لسحرًا»**. وسُمّي السِّحر سحرًا؛ لأنه يقع خفيًا آخرَ الليل.

قال أبو محمد المقدسي في الكافي: السِّحر عزائم ورُقًى وعُقد، يُؤثّر في

---

(١) طائفة نُسبتْ إلى الدهر؛ لأنهم قالوا: «إنْ هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدهر» فهم يجحدون الصانع، ويزعمونُ أن العالم يسير بنفسه.

(٢) اليواقيت والجواهر، للشعراني. ص (١٦١) من الجزء الأول، مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة - طبع عام (١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م).

القلوب والأبدان، فيُمرض ويقتل، ويُفرّق بين المرء وزوجه»[١].

وواضحٌ من تعريف أبي محمد المقدسي أنه تعريف اصطلاحي لا لُغويّ؛ حيث صرّح بأنه قد يفرّق بين المرء وزوجه، كما نطق بهذا القرآن.

وقال الدكتور الأشقر[٢]: «وهذا السِّحر علم خفي بُني على أقوال وأعمال مخصوصة، تؤثّر في الآخرين بقُدرة الله، إذا صدرت من الساحر، ويُقرّب هذا ما توصّل إليه العلم الحديث في هذا العصر، فقد اكتشف العلم قُوَى خفيّة تستطيع أن تدمّر وتُهلك كالأشعة، وقد يتوصّل العلم إلى الأبعد من هذا». اهـ.

ويُعرّفه ابن عابدين قائلاً[٣]: «إنه علم يُستفاد منه حصول ملكة نفسانيّة، يقتدر بها على أفعال غريبة لأسباب خفيّة». اهـ.

وعرّفه ابن قدامة بأنه عُقد ورُقًى يتكلّم بها أو يكتبها، أو يعمل شيئًا يؤثّر في بدن المسحور أو عقله غير مباشر له[٤].

وعرّفه ابن القيّم بقوله: «هو مركّب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القُوى الطبيعيّة عنها»[٥].

وفي أحكام القرآن للجصّاص: «هو اسم لكل أمر خفي سببه، ويُخيّل على [غير] حقيقته، وجرى مجرى التمويه والخداع»[٦]. اهـ.

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص (٢٨٥)، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان، والحديث رواه مالك، وأحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عمر.

(٢) عالم السحر والشعوذة - ص (١٠٤).

(٣) حاشية ابن عابدين (١/ ٤٤).

(٤) المغني لابن قدامة (٨/ ٥١).

(٥) زاد المعاد (٤/ ١٢٦).

(٦) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٤٢).

وبمثله قال الفخر الرازي[١].

وعقّب الدكتور الأشقر على هذين التعريفين قائلًا:

«وهذان التعريفانِ غير مانعَيْن؛ ولذلك أدخل هذان العَلَمان في السِّحْر ما ليس [منه]»[٢]. اهـ. بتصرّف يسير.

قلت: ولي مع تعقيبه هذا وقفةٌ قد تطول، فهو يقول: «غير مانعَيْن»؛ أي: أنهما يدخلان في السِّحْر ما ليس منه، بدليل تعليله الذي يقول: «ولذا أدخل هذان العَلَمان... إلخ»، ومن هنا يأتي السؤال، وهو أن نسأل الدكتور عن المفسدة التي ستقع إذا دخل في السِّحْر ما ليس منه؟ فهذا ما لم يوضحه لنا الدكتور، فإن كان يقصد أن دخول ما ليس منه فيه يُعرّض صاحبه والذي **قام به لأن يُرمى بالكفر، فهو قد طرق بابًا طالت مدة غلقه، وآن له أن يُفتح**، ولكي نفتح هذا الباب نبدأ بهذا السؤال:

أي تعريف من تلك التعريفات السابقة الذي إذا انطبق على شيء يُعَدُّ سِحْرًا، يكفر فاعله؟ وإنما طرحت هذا السؤال؛ لأن كثيرًا من الناس يُدخلون في السِّحْر ما ليس منه (ولهم العُذر في ذلك) ثم يرمون فاعله بالكفر، وهذه قضيّة خطيرة غفل عنها الكثيرون، خصوصًا مَنْ كتبوا في هذا الموضوع، ومن أجل تلك القضية كان هذا الفصل.

أعود إلى وقفتي مع الدكتور الأشقر فأقول: وكأنّي بالدكتور الأشقر قد أعجبه تعريفه هو الذي أتحفَنا به، وقد ذكرته فيما مضى من تعريفات، **وليس تعريفه بالجامع المانع أيضًا**، فكثيرٌ من الأعمال تخفى على كثير من الناس، وتُبنى على أقوال وأفعال مخصوصة تؤثّر في الآخرين، فهل يُعدُّ كل عمل هذا شأنه من السِّحْر(؟!) وإذا قلت: نعم يُعَد من السحر، أقول: فهل يكفر فاعله؟

---

(١) انظر قصة السحر والسحرة (٥) أو (٢٥) من طبعة أخرى.

(٢) عالم السحر والشعوذة - ص (٧١).

وهذه أسئلة كثيرة حائرة لم يُجب لنا عنها الدكتور، وليس معنى هذا أنني راضٍ بهذين التعريفين اللذين عقّب عليهما الدكتور الأشقر، وإنما الاعتراض على أن **الدكتور نقد تعريفين، ثم أتى بما يماثلهما في عدم الدّقّة**، كما أنه لم يبيّن لنا مقصده من قوله: «غير مانعَيْن»، وما المفسدة التي ستحصُل إذا دخل في السِّحْر ما ليس منه.

وجاء في تفسير القرطبيّ ما نصه[١]:

السحر قيل: أصله التمويه بالحِيَل، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيخيّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به، واختلف هل له حقيقة أم لا، فذكر الغنويّ الحنفي في عيون المعاني له أن السحر عند المعتزلة خِدَع لا أصل له، وعند الشافعي وسوسة وأمراض. قال: وعندنا أصله طِلَّسْم يُبنى عند تأثير خصائص الكواكب، كتأثير الشمس في زئبق عصى فرعون، أو تعظيم الشياطين ليسهّلوا ما عَسُر.

قلت (والقول للإمام القرطبي): وعندنا أنه حق، وله حقيقة، يخلق الله عنده ما شاء على ما يأتي. ثم من السِّحْر ما يكون بخفّة اليد كالشعوذة[٢]. قال ابن فارس في المُجمل: الشعوذة ليست من كلام أهل البادية، وهي خفّة في اليدين، وأُخْذة كالسحر. ومنه ما يكون كلامًا يحفظ، ورُقًى من أسماء الله تعالى. وقد يكون من عهود الشياطين، ويكون أدوية وأدخنة وغير ذلك. اهـ.

وأما الدكتور محمد شامة **فهو لا يرى السحر إلّا تخيُّلًا**، واسمع إليه يقول،

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٤٣٤) والتي بعدها - دار الريان للتراث بالقاهرة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾.

(٢) ليست الشعوذة من السحر الاصطلاحي، وليس في كلام ابن فارس دليل على ذلك، فهو يقول: أُخذة كالسحر - بكاف التشبيه - ولم يقل: إنها من السحر. وانظر ص (٩٢).

بعد أن ساق لقاء سحرة فرعون مع موسى ﷺ: «وما يجدر ذكره أن القرآن الكريم أشار إلى أن ما فعله السحرة لم يكن قلبًا لحقيقة العصيّ والحبال، وإنما كان تخيّلًا، أما تحويل عصا موسى إلى حيّة، فكان حقيقة، اقرأ قوله تعالى في جانب ما فعله السحرة: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ﴾.. وقوله عن عصا موسى ﷺ: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ تجد فرقًا بين التعبيرين، يؤكد أن السحر ليس إلا تخيُّلًا، والمعجزة قلب لحقيقة الشيء؛ لأنها ممن خلق، وهو قادر على تحويل ما خلقه سبحانه إنه على كل شيء قدير»[1]. اهـ.

قلت: إن كان الدكتور يقصد أن السِّحْر الذي قام به سحرة فرعون ما كان إلا تخيّلًا - فهذا له، وإن كان يقصد السِّحْر عامة، ففي قوله نظر بيِّن؛ لأن هذا رأي الجمهور فقط، وليس إجماعًا. كما قال ابن حجر، بَيْدَ أن ابن حجر نفسه يرى أنْ لا مانع من أن يقلب السِّحْر حقيقة الشيء بالنظر إلى القدرة الإلهَية، وإليك نصَّ عبارته (رحمه الله) فهو يقول:

«إن الذين قالوا: إن للسحر حقيقة اختلفوا، هل له تأثير فقط، بحيث يُغيِّر المِزَاج، فيكون نوعًا من الأمراض؟ أو هو ينتهي إلى الإحالة، بحيث يُصيِّر الحمار حيوانًا وعكسه؟ الذي عليه الجمهور هو الأوّل، وذهب طائفة قليلة إلى الثاني، **فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهَية فمسلَّم**، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محلّ الخلاف، فإن كثيرًا ممّن يدّعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه»[2].

وقال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي[3]:

«فأمّا القتل بالسِّحْر والإمراض والتفرقة بين المرء وزوجه، وأخذه بالأبصار، فحقيقة لا مكابرةَ فيها. وأمّا قلب الأعيان، كقلب الجماد حيوانًا، وقلب الحيوان

---

(١) في رحاب القرآن للدكتور محمد شامة - ط الأولى - ص (٢٩٠) والتي بعدها.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٢٢).

(٣) معارج القبول - ط الأولى - ص (٤٤٥) الجزء الأول - نشر دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.

من شكل إلى [شكل] آخر - فليس بمحال في قدرة الله (عزّ وجلّ) ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعل في الحقيقة، وهو الفعّال لما يريد، فلا مانع من أن يحوّل الله ذلك عندما يُلقي الساحر ما يُلقي، امتحانًا وابتلاء وفتنة لعباده». اهـ.

فهذانِ النّصّان صريحان في أن **قلب الأعيان بالسحر ليس مستحيلاً** بالنظر إلى قدرة الله (جل في علاه) ولا مانع (والله أعلم) من أن تكون حبال سحرة فرعون وعصيُّهم قد انقلبت حيّات على الحقيقة بالنظر إلى قدرة الله، بيد أن الله جلت قدرته قد نزع منها أرواحها، فصارت جامدة لا تتحرك، بيد أن موسى ﷺ خُيل إليه من سحرهم أنها تتحرّك، بدليل نص الآية، فهي لم تتعرض للعصيّ والحبال هل انقلبتْ حيّات على الحقيقة أو لا، وإنما تعرّضت لتحرُّكها وعدم تحرُّكها، وأخبرت أنها كانت لا تتحرك، وإنما ظهرت أمام موسى ﷺ تتحرك على سبيل الخيال الذي نتج عن السّحْر الذي وصفهُ القرآن في آية أخرى بأنه عظيم، وقلب الأعيان تناسبه العظمة، أما إذا كان سحرهم ليس فيه قلب للأعيان، فأين تكون العظمة إذًا(؟!)

كما أن الآية الكريمة مسوقةٌ لبيان أن الفوز والغلبة كانا لموسى ﷺ وهذه هي النتيجة المطلوبة، ولم تكن تلك المباراة لمعرفة من يستطيع أنْ يقلب الأعيان، وإنما كانت لمعرفة من يغلب، وانقلابُ الحبال والعصيّ حيّاتٍ على الحقيقة ليس فيها رُوح - لا يطعن في غلبة موسى ﷺ؛ لأن العبرة في هذه المسألة في الغلبة نفسها، فهي الفيصل بين الفريقين فريق الهدى، وفريق الضلال، ولو أن الحبال والعصيّ قد انقلبت حيّاتٍ على الحقيقة وفيها رُوح، ثم جاءت حيّة موسى ﷺ وابتلعت تلك الحيّات، لحصل المقصود أيضًا وهو الغلبة لموسى، وإنما كان نزع الرُّوح منها ليبيّن لهم أن الفاعل في الحقيقة لهذه الحيّات هو ربّ موسى ورب العالمين، وهو وحده القادر على أن يجعلها تتحرك أو لا تتحرك، والسّحْر ما هو إلّا سبب من الأسباب، وفِعْل الله لا تحكمه الأسباب؛ لأنه سبحانه خالق الأسباب ومسبباتها.

ولسائل أن يسأل: وماذا تقول في قوله تعالى: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[١] فهل كانت الحيّات الحقيقية التي ليس فيها رُوح - إفكًا؟

والجواب (والله أعلم): أن الحيّات آلة الغلبة التي ادّعاها سحرة فرعون، وكان هذا الادعاء كذبًا بدليل أنهم خَسِروا المعركة، وفي اللغة كثيرًا ما تسمّى الآلة باسم ما صُنِعَت من أجله، فهنا سُمِّيت الحيّات إفكًا، لأنها صُنعت للغلبة التي زعموها، وادّعاؤهم الغلبة كان إفكًا؛ فكلمة إفك واقعة إذًا على ادعائهم الغلبة لا على الحبال والعصيّ وما آلت إليه، وهذا من باب التوسُّع في اللغة كما في قوله تعالى: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، وإنما المقصود بعض أهلها؛ لأن القرية نفسها لا تُسأل كما أنه لن يسأل أهل القرية جميعًا، وإنما هو يسأل بعض أهلها، ومن ثَمّ ففي الآية حذف مضافين، والتقدير - والله أعلم -: واسأل بعض أهل القرية، وهذا توسع في اللغة كما ترى.

وقال القرطبي: «قال علماؤنا: لا يُنكر أن يظهر على يد الساحر خرق العادات ممَّا ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو، إلى غير ذلك ممَّا دلَّ الدليل على عدم استحالة كونه من مقدورات العباد»[٢].

قلت: فهو لم يتعرّض لقلب الأعيان، وإنما وقف بالسحر عند الإمراض، والإصابة ببعض الأعطاب، كما هو ظاهر عبارته، غير أنه يقول: «إلى غير ذلك. . .إلخ». وقد علمنا ممّا سبق أن قلب الأعيان بالسحر ليس مستحيلاً في حق العباد، ما دام أنه بالنظر إلى القدرة الإلهيّة، كما قال ابن حجر والشيخ حكمي (رحمة الله عليهما)، وعليه فقد يدخل قلب الأعيان في عبارة القرطبي السابقة.

وهاك تعريفًا اصطلاحيًا للسحر يقول:

«وقد تواتر النقل عمَّن بحث في أحوال السِّحْر والسحرة في إثبات عَلاقة

---

(١) الأعراف: (١١٧) وكذا الشعراء (٤٥).

(٢) انظر تفسير القرطبي (١/ ٤٣٤) وما بعدها، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ - ط دار الريان للتراث بالقاهرة.

بين الشياطين والسحرة، فالسحرة يتقرّبون إلى الشيطان بما يُحّبه، فيعينهم الشيطان وأعوانه على بعض مقاصدهم؛ ولذا فإن الحُذّاق من علمائنا عرّفوا السِّحر بأنه علم تُقُرِّب فيه إلى الشيطان، وبمعونة منه»[1].

قلت: وهذا التعريف قد ربط بين السِّحر والشيطان برباط قويّ، أي أنه **متى وجد السحر كان للشيطان دخل فيه مباشر**، بعد أن يأخذ حقه ممّن أراد أن يقوم بالسِّحر، ويتلخّص حقه هذا في عبادة الشيطان، أو التقرّب إليه لجلب نفع للساحر أو لغيره، أو لرفع ضُرٍّ عنه أو عن غيره، أو للإضرار بالآخرين، كالتفريق بين المرء وزوجه، **ويكون هذا السِّحر شركًا؛ لأن فيه عبادةً لغير الله**، وعليه فهذا التعريف أقرب إلى الصواب من غيره، حيث لمس وَطَرًا حسّاسًا لم يلمَسه تعريف من التعريفات السابقة؛ هذا الوطر هو عبادة الشيطان، بعلم غامض يُعرف عن طريق الشيطان نفسه، بطريقة أو بأخرى. هذا، وسنشير إلى هذا الموضوع في مناسبات قادمة، إن شاء ربُّنا وقدّر.

ونختم هذا الفصل بدعاءٍ جميل كان قد دعا به الشيخ الشعراوي، رحمة الله عليه، هذا الدعاء يقول:

اللّهمّ، إنك أقدرت بعض خلقك على السِّحر والشرّ، ولكنّك احتفظت لذاتك بإذن الضر.

اللّهمَّ، إنّي أعوذ بما احتفظت به ممّا أقدرت عليه، بحق قولك سبحانك: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2].

---

(١) انظر التفسير القيّم - ص (٥٨).

(٢) البقرة (١٠٢). وانظر ما المقصود من قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، وذلك في قصّة السحر والسحرة، للرّازي - ص (١٨٦) وما بعدها. وانظر أيضًا: كتاب (٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية)، حيث يُبيّن الشيخ حافظ ابن أحمد حكمي معنى الإرادة الكونية القدريّة، والإرادة الدينيّة الشرعيّة، وهو كلام نفيس جدًا.

من أنواع السحر عند العلماء

في الفصل السابق لهذا تَحدّثنا عن تعريف السِّحْر، ولاحظنا اضطراب العلماء فيه من خلال تعريفاتهم الكثيرة المُتباينة، وهذا الاضطراب قد لحظه من قبلنا وعلّق عليه الدكتور الأشقر، حيث قال بعد أن ساق عِدّة تعريفات للسحر، وأدلّةٍ على وجوده:

«وإذا تأمّلت في هذه النقول التي سقناها تبيّن لك أن في المسألة اضطرابًا كبيرًا، وسبب هذا الاضطراب هو عدم معرفة حقيقة السحر عند كثير من الباحثين فيه»[١]. اهـ.

قلت: بل عند كل الباحثين فيه، إذ لو عرَف حقيقته باحث واحد، لوصل إلينا تعريفه للسحر، وهذا لم يقع، فدلّ على أن أحدًا من الباحثين لم يعرف حقيقة السحر حتى وقتنا هذا. المهمّ أن هذا الفصل قد يوضّح لنا مدى هذا الاضطراب الذي أشرنا إليه، ولْنبدأ الآن بالتِّوَلَة، وهي شيء يصنعونه يزعمون أنه يُحبّب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته، وهو المشهور عند عامّة الناس بسحر المحبّة.

قال الأصمعيّ: «وهو الذي يُحبّب المرأة إلى زوجها - وهو بكسر التاء-، فأما التُّولَة - بضم التاء - فهو الدَّاهية؛ قال أبو جهل يوم بدر: إن الله قد أراد بقريش التُّولَة. يعني: الدَّاهية»[٢].

---

(١) عالم السحر والشعوذة ص ١٥٢ .

(٢) شرح السنة للإمام البغوي (١٢/١٥٨)، المكتب الإسلامي.

وجاء في كتاب [فتح المجيد] ما نصه[1]:

«قال الحافظ: التّولَة شيء كانت المرأة تجْلِب به محبّة زوجها، وهو ضرب من السحر، والله أعلم». اهـ.

ثم جاء في الحاشية تعليقًا على كلام الحافظ ما نصه:

«وإن زعم الذين يصنعون للنساء أنّهم مسلمون ومتديّنون، وأنّ ما يكتبونه من القرآن وأسماء الله، فإنهم يفعلون ذلك تضليلاً بالقرآن، وإلحادًا فيه؛ لأنهم يكتبونه على طريقة اليهود حروفًا مقطّعة، وبمداد خاصّ، ويمزجونه بأدعية جاهلية، وبخطوط يزعمونها على صورة خاتم سليمان الذي كان فيه سرّ ملكه، كما زعم اليهود الذين يعتقدون كفر سليمان، وأنه كان يُسخّر الجن بالسحر، لا بالمعجزة من الله.. وعلى هذه العقيدة اليهوديّة الدجّالون الذين يكتبون التمائم والتّولات، **ويزعمون أن للحروف والأسماء خُدّامًا** يقومون بما يطلب منهم من الأعمال السحريّة، ويتّخذون أنواعًا من البخور والأدوات المخصوصة التي تُوحي بها شياطينهم، وكل هذا من الكفر العظيم». اهـ.

وقد أورد صاحب كتاب [فتح المجيد] حديثًا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرُّقى والتمائم والتّولة شِرك**». رواه أحمد وأبو داود[2]. اهـ.

قلت: والمقصود بالرقى في هذا الحديث هي الرقى المحتوية على الشرك، كالاستعانة بالشياطين بطرق شركيّة، والدليل على ما قلناه - الحديث الوارد في صحيح مسلم، أن النبي ﷺ قال: «**لا بأس بالرُّقى ما لم تكن شركًا**»[3].

---

(١) فتح المجيد - ص (١٣٤) - ط دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م).

(٢) فتح المجيد - ص (١٣٠)، والحديث في السلسلة الصحيحة للألباني برقم: (٣٣١).

(٣) مسلم (١٤/ ١٨٧ - نووي).

كما أن المقصود بالتمائم في هذا الحديث أيضًا - التمائم التي ليست من القرآن، ولا من أسماء الله. أما التي من القرآن، ومن أسماء الله وصفاته - فتفصيل الكلام عليها في فصل [حول الحجاب القرآني والرقى]، فلينظر.

وإنما كانت التولة شركًا لاعتقاد من يفعلها أنها تؤثر تأثيرًا يخالف ما أراده الله سبحانه، فإذا لم يعتقد فاعلها ذلك برئ من الشرك، ونُظِر في عمله ليحكم عليه من خلاله. والله أعلم.

وفي حاشية [فتح المجيد] عن علم النجوم ما نصه(١):

«علم النجوم علمان: علم يُعرف به سيرها ومدارها ومنازلها وأبعادها وأحجامها، وهذا علم الفلك لا بأس بتعلّمه والعمل به.. وعلم يُعرف بالعلم الروحاني، يزعمون أنه معرفة روحانية النجوم والكواكب، وتأثيرها في الأرض ومَنْ عليها بالأمراض والحروب، والضيق والسعة، والموت والحياة، والسعادة والشقاوة بين الزوجين إذا عُقد قرانهما عند اقتران كذا من النجوم والكواكب بكذا.. ولهم في ذلك ما يسمّونه بالطالع، ويعملون جدولاً بالحوادث التي ستحدث في العالم كله من حوادث عامّة وخاصّة. وهذا هو الدجل(٢) والكذب، وهو نوع من السحر، واستخدام الشياطين، والقول على الله بلا علم». اهـ.

قلت: كونه من الشرك فهذا لا نشكُّ فيه لما فيه من ربط أقدار الناس بالكواكب، وجَعْلِها أربابًا تُعبد وأرصادًا تُؤتمن على أسرار الغيب الذي استأثر

---

(١) فتح المجيد - ط دار الفكر، بيروت، لبنان. ص (٢٩٦).

(٢) الدجَل: هو الشيء المموّه. يقال: دجَّلت السيف؛ أي: موّهته (هذا الفعل مشتق من الماء، وهو اسم عين، والعرب قد اشتقت كثيرًا من أسماء الأعيان، فيقال: موّهته فهو مموَّهٌ) وطليته بماء الذهب. وفاعله دجّال، وجمعه دجالون ودجاجلة، ولم يُسمع جمعُ تكسيره إلّا من مالك بن أنس فقيه المدينة، فإنه قال: هؤلاء الدجاجلة. وانظر المزهر للسيوطي (٣٠٣/١) ط الثالثة - نشر دار التراث بالقاهرة.

الله سبحانه بعلمه، فأمّا أن فيه استخدامًا للشياطين كما ذكر الشيخ فهذا فيه نظر؛ لأنه مجرّد ضروب حسابية معقّدة بعض التعقيد، ولها نتائج، وبها يرجمون بالغيب. والملاحظ أن الشيخ قد أدخل هذا العمل الشركيّ في السحر، حيث قال: «وهو نوع من السحر».

وكما عدّه صاحب [فتح المجيد] من السحر، وذكر أن فيه استخدامًا للشياطين، كذلك عدّه من السحر صاحب كتاب [معارج القبول] غير أنه لم يُصَرِّح في كلامه بأن فيه استخدامًا للشياطين، وإليك نصَّ كلامه في ذلك:

«من أنواع السحر ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد، ويجعل لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا، ويُجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرِها، ويجمع جمعًا معروفًا عنده ،ويطرح منه طرحًا خاصًا، ويثبت إثباتًا خاصًا، وينسبه إلى الأبراج الاثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها ممّا يوحيه إليه الشيطان، وكثيرٌ منهم يُغيّر الاسم لأجل ذلك، ويُفرّق بين المرء وزوجه بذلك، ويعتقد أنهما إن جمعهما بيت واحد لا يعيش أحدهما، وقد يتحكّم بذلك في الغيب، فيدّعي أن هذا يُولَد له، وهذا لا، وهذا الذكر، وهذا الأنثى، وهذا يكون غنيًا، وهذا يكون فقيرًا، وهذا يكون شريفًا، وهذا يكون وضيعًا، وهذا محبّبًا، وهذا مبغّضًا، كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه، لا والله، لا يدريه الملَك الذي يكتب ذلك حتى يسأل ربه: أذكر أم أنثى، شقيّ أم سعيد، ما الرزق وما الأجل، فيقول له فيكتب، **وهذا الكاذب المفتري يدّعي** علم ما استأثر الله بعلمه، ويدّعي أنه يُدركه بصناعةٍ اخترقها، وأكاذيبَ اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدّقه به واعتقده فيه كفر والعياذ بالله»[1]. اهـ.

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ بن أحمد حكمي - ط الأولى - الجزء الأول - ص (٤٥٤) نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

فالشيخ هنا لم يصرّح بأن في هذه الضروب الحسابية استخدامًا للشياطين، بيد أنه قال: «... ممّا يوحيه إليه الشيطان... إلخ»، وليس من شكٍّ أن الشيطان يدعو إلى الشرك والكفر بالله تعالى، فهل كل ما يدعو إليه الشيطان سحرٌ(؟!) فإدخال هذه الضروب في السحر، يُؤكد لنا ما قلناه سابقًا من أن العلماء قد اضطربوا في تعريف السحر، ممّا كان من نتائجه أن أدخلوا فيه ما ليس منه، ولعل الذي حملهم على هذا إدخال الحديث الذي نورده فيما بعد هذا النوع في السحر، وجعله إياه شعبة منه، فأخذوا النص، وتناسوا التعريف تمامًا، ولقد كان من الواجب عليهم ضبط التعريف مع النص الذي صح عندهم.

ومن أجل أن أُوضّح لك ذلك أسوق إليك ما يلي:

جاء في كتاب من كتب الهياكل والطلاسم وسَمَه صاحبه البوني المغربي بـ [شمس المعارف الكبرى] ما يلي:

فصل: إذا أردت أن تعرف حال المريض أو الغائب، فاعرف اليوم الذي مرض فيه ذلك المريض، أو سافر فيه المسافر، واحسبه بالجُمّل[1]، واحسب اسمه، واسم أمه بالجُمّل أيضًا، ثم أضف إليه ما مضى من الشهر العربيّ، وأضف لهذا كله الأُسّ[2] العشرين، ثم اجمع هذا كله، ثم أسقطه ثلاثين ثلاثين، حتى يبقى معك ثلاثون أو ما دونها، ثم انظر فيما بقي، واعرضه على اللوحين: لوح الحياة، ولوح الممات، فحيث وقع فاحكم به من موت أو حياة، فإنك ترى ذلك إن شاء الله تعالى.

(١) الجُمّل عندهم نوعان: جُمّل كبير، وجُمّل صغير، وسنقوم بشرح الجُمّل الصغير فقط فيما سيأتي؛ لأنه هو المقصود في كلامه هنا.

(٢) الأُسّ في الحساب هو العدد الدّالّ على قوة الكميّة، فالقوّة الثانية أسُّها ٢، والقوة الثالثة أسُّها ٣، وهكذا. (المعجم الوجيز). ويُجمع الأس على إسَاس. (مختار الصّحاح).

وكذلك حال الزوجين هل يتّفقان أو يفترقان، أو يموت أحدهما قبل الآخر، فاحسب اسم كل منهما بالجُمّل، ثم أضف إليهما الأس العشرين، وما مضى من الشهر العربي، ثم أسقطه ثلاثين ثلاثين، وقابل في اللوحين، فإن كانا في لوح الحياة، فإنهما يجتمعان ولا يفترقان، وإن كان أحدهما في لوح الممات، فإنه يفارق رفيقه، أو يموت عنه.

وكذلك حال الحامل، وما تلد، وهل يعيش أو يموت في هذه الولادة، فاحسب اسم الأم واسم أمها، واسم اليوم الذي أنت فيه بالجُمّل، ثم أضف إليه الأس العشرين، وما مضى من الشهر العربي، ثم أسقطه ثلاثين ثلاثين، وقابل في اللوحين، فإن وقع في لوح الحياة فاحكم بحياته، وإن وقع في لوح الممات فاحكم بأنه لا يعيش.

وكذلك حال الغالب والمغلوب، فاحسب اسم كل واحد منهما على حِدة، ثم أضف إليه الأس العشرين، وما مضى من الشهر العربيّ، ثم أسقطه كما سبق، ثم قابل على اللوحين بما بقي معك، فمن أتى منهما في لوح الحياة فهو الغالب.

وكذا لكل أمر مشكل، والله سبحانه وتعالى أعلم. وإليك صفة اللوحين:

١	٢	٣
٧	١١	١٣
١٤	١٦	١٧
١٩	٢٠	٢٢
٢٣	٢٦	٢٨

لوح الحياة

٤	٥	٥
٨	٩	١٠
١٢	١٥	١٨
٢١	٢٤	٢٥
٢٧	٢٩	٣٠

لوح الممات

[انتهى كلام البوني المغربي بتصرُّف في العبارة].

وقبل أن أبدأ في عرض مثال توضيحيّ على هذين اللوحين أقول:

أوّلاً: تُثبت هذين اللوحين بأرقام غير هذه، وليس من شك أن اختلاف الأرقام قد يتبعه اختلاف النتيجة، فعلى هذا لو كانت النتيجة على هذين اللوحين موتا، فقد تكون على اللوحين الآخرين حياة، فلو وقع ذلك، فأيهما الصحيح عندهم يا تُرى(؟!) وهذه هي صورة اللوحين الآخرين كما أثبتها الحسيني الفلكي عضو الاتحاد العالمي للفلكيين، وذلك في كتابه [أبراج الحظ في الزواج والحُبّ والجنس]:

١	٢	٣
٧	٨	٩
١٣	١٤	١٥
١٩	٢٠	٢١
٢٥	٢٦	٢٧

لوح الحياة

٤	٥	٦
١٠	١١	١٢
١٦	١٧	١٨
٢٢	٢٣	٢٤
٢٨	٢٩	٣٠

لوح الممات

ثانيًا: يجدر بنا قبل أن نبدأ في عرض المثال التوضيحيّ أن نتعرف على هذا الاصطلاح الذي هو [الجُمّل الصغير(١)]، والذي سنقوم بالحساب عليه، ولمعرفة ذلك أقول:

حروف الأبجدية هي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ(٢)، فالألف له العدد الحسابي الأوّل، وهو الواحد، وننتقل إلى

---

(١) الجُمَّلُ الحبل الغليظ، وهو غير مقصود هنا، وحساب الجُمَّل: ضرب من الحساب يُجعل فيه لكل حرف عدد من الواحد إلى الألف على ترتيب خاص - وهو المقصود هنا - (المعجم الوجيز).

(٢) والمغاربة يخالفون في ترتيب الألفاظ التي بعد «كلمن» فيجعلونها (صعفض - =

الحروف التي بعده واحدًا تِلْوَ الآخر، مع مضاعفة العدد الحسابيّ الأوّل في كل نقلة نقوم بها، حتى نصل إلى العقد الأوّل، وهو العشَرة، وسيكون على الياء، ثم ننتقل إلى الحروف التي بعده واحدًا تِلْوَ الآخر، مع مضاعفة العِقد في كل نقلة، حتى نصل إلى المائة، وستكون على القاف، ثم نفعل ما فعلناه سابقًا، مع مضاعفة المائة في كل نقلة، حتى نصل إلى الألف، وسيكون على الحرف الأخير، وهو الغين المعجمة، وبذلك نكون قد أعطينا لكل حرف من تلك الحروف رقمًا حسابيًا معينًا، وهذا ما يُسمّى في اصطلاحهم بالجُمّل الصغير.

وبعد أن عرفنا هذا الاصطلاح نسوق إليك مثالًا توضيحيًا فأقول:

هب أنّ خالدًا مريض، وكان أوّل ظهور مرضه يوم الأحد، واسم أمّه سعاد[1]، فأردنا معرفة ما إذا كان خالد سيعيش في مرضه هذا، أم أنه سيموت

= قرست - ثخذ - ظغش). وعلى كلٍّ فهي أوّل كلمات جُمعتْ فيها حروف الهجاء قبل أن يرتّبها نصر بن عاصم الليثيّ الترتيب المتعارف عليه الآن، وقد رتّبها نصرٌ على هذا النحو، في النصف الثاني من القرْن الأوّل، وفي ولاية الحجّاج. ونصرُ بنُ عاصم هو أحد تلاميذ أبي الأسود الدُّؤَليّ. وقد ظلّ هذا الترتيب معمولاً به، حتى جاء الخليل بن أحمد الفراهيديّ (١٠٠- ١٧٥هـ)، فأعاد ترتيبها، على أساس من ترتيب في الجهاز الصوتي، من الحنجرة إلى الشفتين. وانظر [في النحو العربي] للدكتور مهدي المخزومي - ط الأولى - ص (٣) نشر مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة - طبع عام (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م). وانظر أيضًا المعجم الوجيز، حَرْف الهمزة (أبجد).

(١) اعلم أنّهم يعتمدون اسم الأمّ دون اسم الأب، ويعلّلون هذا بقولهم:

إن نسبة الولد إلى أمه لا يساورها شكّ، سواء أتَتْ به من زوجها أم من غيره؛ بخلاف نسبته إلى أبيه، فلرُبّما كان من غيره عن طريق الزنا (هكذا يقولون!!).

كما أنّ الشخص إذا كان له اسمان، أحدهما مشهور عن الآخر، أُخذ باسم الشهرة، ويعلّلون ذلك بقولهم:

إن الشخص يأخذ رُوحانيّتَه من اسمه الذى به اشتَهر (هكذا يقولون!!).

وكثيرٌ من الناس يُغيّر اسمه لأجل ذلك، كما قال صاحب (فتح المجيد). في كلامه السابق، وإنما يفعل ذلك الجهّال وأصحاب الاعتقادات الفاسدة. والله أعلم.

كما يزعمون، فعلينا أن نقوم بالخطوات التالية:

خالد فيه أربعة أحرف، ولكل حرف منها رقْم معيّن في الجُمّل الصغير الذي شرحناهُ آنفًا، ومجموع حروفه ستمائة وخمسة وثلاثون (٦٣٥)، ويوم الأحد أربعة وأربعون (٤٤)، وسعاد مائة وخمسة وثلاثون (١٣٥)، ومقدار ما مضى من الشهر العربي مثلًا يومٌ واحد، فالمجموع الكلي حتى الآن ثمانمائة وخمسةَ عشر (٨١٥)، فأضفنا إليه الأس العشرين، فصار المجموع ثمانمائة وخمسة وثلاثين (٨٣٥)، فأسقطنا منه ثلاثين، ثلاثين، فبقي معنا خمسة وعشرون؛ لأننا أسقطنا من العدد الكلي العددَ ثلاثين سبعًا وعشرين مرة، فإذا ضربنا ثلاثين في سبع وعشرين، كان الناتج ثمانمائة وعشرة، والباقي خمسة وعشرون رقْمًا، وهذا هو الرقم الذي سنعرضه على **الألواح الأربعة**؛ لنرى النتيجة، وها نحن أُولاءِ قد عرضناه فوقع عند البوني في لوح الممات، ووقع عند السيد الحسيني الفلكي في لوح الحياة، ومعنى هذا أن خالدًا سيعيش سيموت، وهذا كما ترى هُراء ما بعده هُراء، فليقولا لنا، أيُّهما الصحيح عندهما إن كانا صادقَيْن(؟!)

ولا يخفى عليك (أيها القارئ العزيز) ما في هذا من الشرك والرجم بالغيب، والتدخُل فيما لا يتدخل فيه الملائكة المقرّبون إلّا إنْ أذِن الله لهم في ذلك، ويُلاحظ أنها ما هي إلا ضروب حسابيّة ليس غير، وليس فيها استخدام للجن ولا الشياطين، وإن كانت **الفكرة نفسها شيطانية، فهي** من موروثات اليهود كما ذكر ابن تيمية (رضي الله عنه!) وهو يتكلم عن حساب الجُمَّل[1]، والذي جعلني أقول هذا، هو أن تلك الألواح كثيرًا ما تصدق عند العمل بها، فيكون صدقها هذا فتنة عظيمة لمن يعمل بها فيعتقدها، فيدخل في دائرة الشرك (عياذًا بالله من ذلك) وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٨٢).

أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[١].

قال صاحب معارج القبول: «[و]من أنواعه أيضًا النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين مع التأثيرات في اقتران القمر بكلٍّ منها ومفارقته، وأن في ذلك سعودًا أو نحوسًا، وتأليفًا وتفريقًا وغير ذلك. وكل هذه الأنواع اعتقاد صدقها محادَّة لله ورسوله، وتكذيب بشرعه وتنزيله، واتباع لزخارف الشيطان، ما أنزل الله بذلك من سلطان. والنجم مخلوق مربوب ومسخر مدبَّر، كائن بعد أن لم يكن، مسبوق بالعدم المحض، مُتعقَّب به، ليس له تأثير في حركة الكون، ولا سكون لا في نفسه، ولا في غيره»[٢].

ومن عجيب أمرهم وإشكالاتهم أن يقول الإمام أبو السعادات: النُشرة ضرب من العلاج والرقية: يُعالج بها من يظن أن به مسًّا من الجن. وسُمّيت نُشرة؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء. اهـ.

ثم نجد الإمام الحسن يقول: «النُشرة من السحر». اهـ.

الأمر الذي جعل الإمام ابن القيّم يُقسّم النُشرة على نوعين:

نوع يُعَدُّ سِحْرًا من عمل الشيطان، وعليه يحمل كلام الحسن، وهذا النوع هو الذي يتقرّب فيه الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيقوم بإبطال عمله عن المسحور. ونوع بالرقية والتعوّذات والأدوية والدعوات المباحة، فهذا كله جائز[٣].

---

(١) سورة العنكبوت (٢-٣).

(٢) معارج القبول - ط الأولى (١/ ٤٥٤) - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) انظر فتح المجيد - ص (٣٠٧) وما بعدها - ط دار الفكر، بيروت، لبنان، والحسن كما جاء في حاشية الكتاب: هو ابن أبي الحسن، واسمه يسار، البصري الأنصاري، مولاهم. ثقة فقيه، إمام من خيار التابعين. مات سنة عشر ومائة (رحمه الله) وقد قارب التسعين.

قال الزجاج في معانيه[١]: «قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[٢]: هذه الآية توجب على من ادّعى أن النجوم تدلّه على ما يكون من حياة وموت وغير ذلك أن قد كفر بما في القرآن، وكذلك قوله: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[٣]. والاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ معناه أنه لا يظهر على غيبه إلا الرسل؛ يُستدل على نُبوّتهم بالآيات المعجزات، بأن يُخبروا بالغيب، فيعلم بذلك أنهم قد خالفوا غير الأنبياء». اهـ.

وظاهرٌ من تقديره أنه جعل الاستثناء متصلاً، ويرى غيره أنه منقطع، ونحن مع الرأي الثاني الذي يرى الاستثناء في الآية الكريمة منقطعًا لما ذكرناه ص٨٧ الهامش (٣) نقلاً عن الرازي - فانظرها هناك.

وممّا يزيد المسألة غموضًا الحديث النبويّ الذي يقول: **«من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر»**[٤]. فالحديث يُصرّح بأن علم النجوم الذي هو ضروب حسابية يدّعي مَنْ يقوم بها معرفة الغيب من حوادث خاصّة أو عامّة (كما فسّره بذلك صاحب [فتح المجيد] في النص الذي سقناه إليك من

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٢٣٧)، تحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي - طبع عام (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م) - مكتبة دار الحديث بالقاهرة.

(٢) الجن آية (٢٦- ٢٧).

(٣) النمل آية (٦٥).

(٤) الحديث رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (١/ ٢٧٧، ٣١١)، والحربي في «الغريب» (٥/ ١٩٥/ ١) عن عبيد الله بن الأخنس عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس مرفوعًا. قال الألباني: وهذا إسناد جيد، ورجاله كلهم ثقات: وعبيد الله بن الأخنس وثّقه أحمد وابن معين وأبو داود والنسائي وابن حبّان، إلا أنه - أي. ابن حبّان - يُخطئ كثيرًا. فما أرى أن يُعتدَّ بقوله هذا كثيرًا. اهـ

قلت: والعبارة الأخيرة من كلام الألباني كما هو الظاهر، وانظر السلسلة الصحيحة، حديث رقم (٧٩٣)، نشر المكتب الإسلامي.

قبل) - شعبةٌ من السِّحْر[١] مع أنه لا يُوجد فيه تقرّب للشيطان ولا عبادةٌ له بالمفهوم المشهور، وهو أن يعقد الساحر عقدًا بينه وبين الشيطان على أن يقوم الأوّل بالتقرّب إلى الثاني بما يُحبُّ من أجل أن يُنفّذ له بعض مقاصده.

ولعل الذين عدوا تلك الحسابات من السحر قد اعتمدوا هذا الحديث من حيث الصناعةُ الحديثية. ولعل الذين لم يُدخلوا هذا النوع من الحساب في السحر لم يعتمدوه حيث لا يصح عندهم، أو لعلهم لم يقفوا عليه أصلاً. وكل ما نريد إثباته مما سبق جميعه أن في المسألة غموضًا واضطرابًا، وملابسات تجعل التعريفات والأنواع متباينة ولا يصح جمعها تحت تعريف دقيق فيما يبدو لنا.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن تصور حقيقة الشيء لا تتوقف على التعريف؛ لأن التعريف مبنيٌّ على تصوُّر المعرّف، فلو كان تصور المعرّف متوقفًا على التعريف للزم التسلسل، وهذا مرفوض عقلاً. وهذا ما نصره ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المنطق» فارجع إليه، واستعن بالله على الفهم؛ فإنه دقيق جدًا.

۞ ۞ ۞

---

(١) خبر «أن» من قولي: بأن علم النجوم... إلخ. وجديرٌ بالإيضاح أن لفظ الحديث: «من اقتبس علمًا من النجوم...» والمدلول اللغوي والبياني لهذه العبارة أن يكون العلم مأخوذًا من النجوم نفسها؛ فيخرج بذلك علم الفلك غير الروحاني، إذ ليس مأخوذًا منها، وإنما هو مأخوذ من غيرها وإن كان يعرف به سيرها ومنازلها وأبعادها وأحجامها.

سحر البيان[١]

رُبما يسمع الإنسان كلامًا أو يقرؤه فيُحِسُّ له وقعًا حسنًا في قلبه، وكأن الكلام قد لامس شَغَاف قلبه، وهزّ وترًا حساسًا بداخله، وهمس في وجدانه «بسمفونيّة»[٢] رائعة من موسيقى الكلمات، فإذا به يُنصت إليه، ومنه يستزيد، ويجد في ذلك لذةً تفوق لذّة الوصال بين عشيقَيْن، فإذا كانت هذه «السمفونيّة» الكلاميّة سليمة من الناحية اللُّغويّة، موافقة لمقتضى الحال - فهي البيان بعينه والمنطق الفصيح.

وكم من الخطب الفصيحة الرّنّانة قد أثّرت بروعتها فيمن سمعها، فجعلت من الجبان مغوارًا، ومن الكسول مُجدًّا نشيطًا، ومن شياطين الإنس مؤمنين أتقياء. وكم من الكلام المعسول قد فرّق بين صديقين أو حبيبين، أو أخوين، أو زوجين، فجعل ما بينهما من ودٍّ نارًا مضطرمة، تنفد مياه الأرض والسماء دون إخمادها وقمعها.

«وفي الصحيحين عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من البيان لسحرًا**»[٣]. يعني لتضمُّنه التخييل، فيخيّل الباطل في صورة الحق، وإنما عني به البيان في المفاخرة والخصومات بالباطل ونحوها، كما يدُلّ عليه أصل

---

(١) تشبيه البيان بالسحر فيه دلالة على أثر البيان فيمن يستمع إليه، حيث يجعله يحب ويكره، ويرضى ويسخط، وينشط ويكسل، فيكون المستمع للبيان في تلك الحال كمن أصابه سحر.

(٢) لفظة فرنسية محرفة بمعنى المؤلِّف الموسيقيّ الغربيّ، ولم أستبدل بها غيرها لتشبُّعِها بالدلالة المطلوبة، واكتفيت بالتنبيه.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٠٧)، وأحمد (٤/ ٢٦٣)، والبيهقي (٣/ ٨٨)، والبخاري (٩/ ٢٠١- فتح) أو (١٠/ ٢٣٧)، والتمهيد (٣/ ٢٥٠).

القصّة في التميميَّيْن اللذين تفاخرا عنده بأحسابهما، وطعن أحدهما في حسب الآخر ونسبه»(١).

«قال ابن عبد البر: هذا الحديث تأوّلته طائفة على الذمّ؛ لأن السحر مذموم، وذهب أكثر أهل العلم، وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح؛ لأن الله تعالى مدح البيان. قال: وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجة، فأحسن المسألة، فأعجبه قوله، قال: «هذا والله السحر الحلال»(٢). اهـ.

قلت: وقد صحّح الإمام القرطبيّ الأوّل، واستدلّ على تصحيحه بقوله ﷺ: **«فلعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»** وقوله: **«إن أبغضكم إليّ الثرثارون المتفيهقون»**. ثم فسر المتفيهق بأنه الكلام يُردِّده، وجعل الثرثار مثله(٣).

وبمناسبة الكلام على البيان وساحريَّتِهِ تحضُرني كلمة للمنفلوطي يُعرّف فيها البيان قائلاً:

«البيان تصوير المعنى القائم في النفس تصويرًا صادقًا يمثّله في ذهن السامع كأنه يراه ويلمسه، لا يزيد على ذلك شيئًا، فإن عجز الشاعر أو الكاتب - مهما كبر عقله، وغزر علمه، واحتفل ذهنه - عن أن يصل بسامعه إلى هذه الغاية، فهو إن شئت أعلم العلماء الفضلاء، أو أذكى الأذكياء، ولكنه ليس بالشاعر ولا بالكاتب»(٤).

---

(١) انظر معارج القبول - ط الأولى (١/ ٤٥٧) - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - ص (٢٩٨) والتي بعدها، طبع دار الفكر.

(٣) وانظر تفسير القرطبي (١/ ٤٣٥) - ط دار الريان للتراث بالقاهرة، عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾.

(٤) النظرات لمصطفى لطفي المنفلوطي، تحت عنوان: «البيان» - دار الثقافة بيروت، لبنان.

حقًّا ما قلتَه يا صاحبَ النظراتِ والعبراتِ، فليس البيانُ كما يتصوّره بعضُهم تعنُّتًا وتعقيدًا، وإنَّما البيانُ عذوبةٌ في اللفظ، واتّساقٌ في التركيب، وصدق في التصوير للمعنى القائم في النفسِ بموسيقى الكلماتِ، حتى يراه المستمع رأىَ العين.

حقًّا ما قلتَه يا صاحبَ النظراتِ والعبراتِ، فالبيانُ هو الذي إذا همستْ إليكَ الريحُ به، اهتزّت لعذوبتِه القلوبُ، وتفتّحتْ له جوانبُ النفسِ، فأخذتْ تُنصتُ إليه في خشوعٍ وخضوعٍ، وكأنَّه وحيُ السماءِ إلى أهلِ الأرض.

حقًّا إن من البيان لسحرًا، فاستمع أيُّها القارئ العزيز إلى هذين البيتين:

إِذَا قَبَّلْتُهَا خَجَلاً فَيَسْرِي عَلَى وَجَنَاتِهَا الْبِيضِ احْمِرَارُ
كَأَنَّ بِخَدِّهَا مِصْبَاحَ نُورٍ يَكَادُ يُضِيءُ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ

لستُ أدري أتشعر كما أشعر، وتجد في قراءتهما مثل ما أجد؟ ولكنَّ قلبي يهتزُّ لإنشادهما رِقَّةً وطرَبًا، فالبيتانِ قِطْعَةٌ موسيقيّة يرتفع اللسان بهما في سهولة ويُسر، وكلماتهما حُلوةٌ رقيقة، لا تبلغ أُذنًا ذوّاقةً إلّا أثّرتْ فيها لفظًا ومعنًى، فاللفظ آية في الجمال، والمعنى في غاية الإجلال، وذلكمُ البيان، ذلكمُ البيان.

«حقًّا لو أردت أنْ أسوق إليك سِحْر البيان، لطال بي المقام، فبين يديَّ من قيثارة اللغة الموزونة - أوتارٌ أشجت النفوس، وأطربت الأسماع، طوال ما مضى من قرون، ولم تترهّل بمرور الزمن.

حقًّا لو أردت أنْ أزُفَّ إليك ألوانًا من سِحْر البيان، لطال بي المقام، فبين يديَّ من بحور الشعر - نُظُمٌ متنوّعة الإيقاع، متباينة الأصباغ، تنقّلت مع الأجيال عَبْر سوالف العصور، ولم يهرم لها إبداع، أو يشذّ بها نَغَم.

وعلى تلك الأوتار، وهاتيك الأوزان - عزف المُلْهَمُون أنضج نفثات

صدورهم حين الشدّة والرخاء، وفي أوقات المحن وأحيان الهناء، فلم تَضِقْ لديهم عن تلبية حاجة، أو ترجمة وجدان.

فإنْ كنت مما أقول في شكٍّ، فاسأل عن البيان كتب العلماء القدماء، ودواوين الشعراء العظماء، فلن تكون خِلْوًا من إجابة سؤالك هذا[١].

۞ ۞ ۞

(١) فِقْرة مقتبسة من كتابٍ في العروض، رأيت توظيفَها هنا إكمالاً للباب.

حَوْلَ مَفْهُومِ الطِّلَّسْم

جاء في المعجم الوجيز مادة (ط ل س) ما نصه:

«الطِّلَّسْمُ والطِّلَسْمُ: خطوطٌ وأعدادٌ يزعم كاتبُها أنه يربط بها رُوحانيات الكواكب العلوّية بالطبائع السُّفلية؛ لجلب محبوب أو دفع أذًى.

والشائع على الألسنة: طَلْسَمٌ كجعفر (ج) طلاسِمُ». اهـ.

وفي تعريفه يقول الأستاذ محمد جعفر:

«ويحوي الطِّلَّسْمُ كلمات ورسومًا ونقوشًا ورموزًا مكتوبة أو محفورة أو بارزة، ملوّنة وغير ملوّنة. وكلها في غاية الصعوبة والدقّة، ويستحيل على الشخص العاديّ فهمها أو حلّها؛ ولذا أطلق لفظة (طلّسم) على الكتابة الرديئة وغيرها التي [يحار] المرء في معرفتها»(١). اهـ.

قلت: وتعريف الأستاذ هذا لا يخلو من مبالغة، فهو يقول: «صعوبة.. دقّة.. يستحيل» أيُّ صعوبة وأيُّ دقة في خطوط وأعداد لا مفهوم لها عند مَنْ يكتبها فضلاً عن أن يكون لها مفهوم عند غيرهم من الناس(؟!) فما هي يا صديقي إلّا مظهر من مظاهر الخضوع والذلّ ممن يكتبها إلى الشياطين، من أجل أن يُنفّذوا له بعض مآربه الوضيعة البذيئة، دون معرفة منه لمعناها ومفهومها، إن كان لها معنًى أو مفهوم، ولست أرى ذلك، وإلّا لشرح معناه أصحاب تلك العلوم في كتبهم التي امتلأت بها المكتبات التي تتاجر في عقول الناس على مرأى ومسمع من الجميع، وما وجدت في كتبهم شيئًا من ذلك مع كثرة بحثي فيها منذ أعوام طوال، وقبل أن أكتب هذا البحث، اللّهم إلّا

---

(١) كتاب السحر لمحمد جعفر ص (٢١٥ : ٢٢٦). مكتبة الأنجلو المصرية.

مقولة لداود الأنطاكي يقول فيها:

«الطِّلَّسْمات علم اخترعه أرشميدس على ما حُرِّر، وقيل: أوّل ما وضع فيه مكعّب أفلاطون، وهو علم مادته الفلك وأنواع المولدات، وصورته كمال الهياكل (وهي الكواكب السبعة السَّيارة)، وغايته محاكاة الطبيعة الأصلية، وفاعله الحكيم، ويحتاج إلى الطب في أحكام الطبائع، وتحرير دخنه، وأجزاء بخوراته، وما يتعلّق بموازين درجها»[١]. اهـ.

قلت: ولو كان عِلْمًا كما يزعم، لما خفي على الجميع إلا حُثالة[٢] القوم، وشِرذمة قليلين منهم. المُهِّم أن عبارته كما ترى لم تتعرض لدقّة أو صعوبة أو استحالة، أضف إلى هذا أنْ لو كان خيرًا لسبقونا إليه، ولم نجد **أحدًا من علماء الإسلام تكلّم فيه، مع كثرة ما تكلّموا فيه من علوم نافعة شريفة.**

أمّا قول الأستاذ محمد جعفر: «يستحيل على الشخص العاديّ فهمها أو حلّها» فما أحسبه إلا نَوْعًا من المبالغة التي لا مسوّغ لها، ثم ما المقصود بالشخص العادي عند الأستاذ، فما أعرفه أنا عن العاديّ أنه هو القديم، نسبة إلى قوم عاد، إذًا فالمقصود بالشخص العاديّ الشخص القديم، فهو من القُدماء، ومعلومٌ عن القدماء أنهم بُناة الأهرام، **فهل يخفي على بُناتها مثل هذا الطلّسم** الدقيق الصعب على حَدِّ تعبيره(؟!)

فيا أهل العلم، ويا أيتها الأساتيذ، لا ترفعوا من شأن ما هو وضيع، ولا تشغلوا عقول العامّة بحلّ وفهم ما رأيتموه صعبًا دقيقًا، وما هو إلّا تفاهات

---

(١) تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، لداود بن عمر الأنطاكي - الجزء الثاني - ص (١٥٤) - نشر دار الفكر.

(٢) الحُثالة: الرديء من كلّ شيء. وقد تُبدل الفاءُ فيه من الثاء، فيقال: الحُفالة: لقربهما في المخرج، ولأن كليهما صوت رِخْوٌ مهموس.

وأباطيل لا مفهوم لها إلّا في دنيا الخيال، فحريٌّ بكم ألّا تبيعوا للناس أوهامًا، وأن تتقوا الله في عقولهم، وأن تضعوا الأشياء في مكانها الصحيح، وأن تنظروا إلى الأشياء بعين الحكمة، وأن تفكّروا فيها بعقل الدين حتى تروا الأشياء في حجمها الطبيعيّ، فما أجملَ أن ينظر الإنسان بعين الحكمة، وأن يفكّر بعقل الدين!

ولم يكتفِ الأستاذ محمد جعفر بتلك المبالغات السابقة، فأخذ يُفخّم من هذا الطلّسم، ويقول: «وصنع الطلّسم لا يقدر عليه إلا كل ساحر عاتٍ، شاخ وداخ في مهنته؛ لِمَا يتطلّبه من معرفةٍ تامّة بالشياطين، ودراية عميقة بالبذور والأعشاب والمعادن، ودراسة الكواكب، وغيرها من العوامل الكثيرة التي يتطلّبها عمل الساحر»[١]. اهـ.

قلت: سبحان الله في علاه! دراية عميقة، بذور.. أعشاب.. معادن.. دراسة كواكب.. عوامل كثيرة.. معرفة تامّة بالشياطين، فهذا ليس ساحرًا إذًا، وإنما هو مهندس زراعة، وطبيب في الأعشاب، وعالم معادن، وحتى لا أُطيل على القارئ فهو عالم العلماء، وحكيم الحكماء، وأديب الأدباء، وقُلْ فيه من المدح ما تشاء.

والحقيقة أنه **لم يُعجبني من كلماته السابقة إلا كلمتان** وهما: «شاخ وداخ» فشاخ في اللغة معناها: أَسَنَّ، فهي من الشيخوخة، والإنسان في الشيخوخة كثيرًا ما يُصيبه الخَرَف، فتجده يهذي بأشياءَ لا مفهوم لها ألبتة، حتى في قاموسه هو. والكلمة الثانية هي داخ ومعناها في اللغة: ذلَّ وخَضَعَ، والساحر ذلَّ وخضع لأسياده[٢] من شياطين الإنس والجن، فنفّذ لهم ما يريدون، دون

---

(١) كتاب السحر لمحمد جعفر ص (٢١٥- ٢٢٦). مكتبة الأنجلو المصرية.

(٢) العامّة يقولون: أسياد، ويعنون بها سادة، وهذا خطأ في التعبير، ومع ذلك فقد ذكرته للطيفة فيه، تلك اللطيفة هي أن كلمة «أسياد» جمعٌ لكلمة سِيد (بكسر السين)، كما يجوز أن تكون جمعًا لكلمة سيِّد (بفتح الياء مشدّدة)، وعلى كلٍّ فالتعبير فاسد؛=

معرفة، ولا إدراك لكنهه، وتلك حماقة من حماقاتهم.

وحول ما يستغرقه الساحر في عمل الطلّسم يُحدّثنا الأستاذ محمد جعفر قائلاً: «ويستغرق صنع الطلّسم وقتًا طويلاً من الساحر، حسب أهميّته وغرضه، ولا بُدّ له قبل البدء في عمله من الاستعداد التام له في تحضير المواد والبخورات والمعلومات اللازمة عن الشخص الذي سيعمل له السِّحْر، ولا بُدّ من تهييج وإثارة الشياطين الخاصّة، ورسم الدوائر السحريّة ورموزها وتفويتها بجانب ما يتلوه من عبارات شيطانية، ولا بدّ له من ارتداء ملابس خاصّة قبل القيام بهذا العمل»[1]. اهـ. بتصرف يسير.

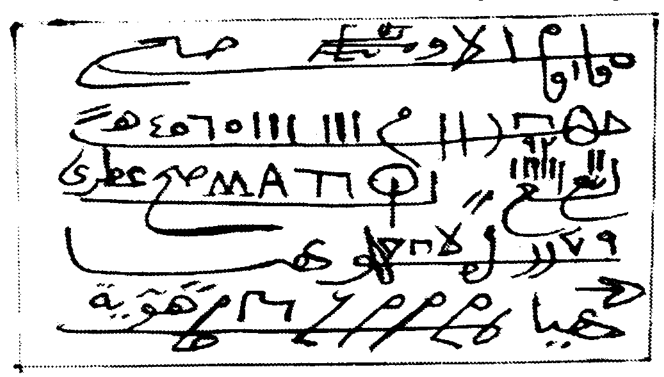
قلت: وإثارة الشياطين لا تكون إلّا بالكفر وأكل الخبائث والخَنا[2]، وقد يحتاج الأمر إلى أن يتجرّد الساحر من ملابسه، ليُصبح كما ولدته أمُّه، يجلس على الأرض لفترة معينة يحددها له شياطين الجن، وأما عن المعلومات التي يحتاج إليها الساحر، فلا تتعدّى أن تكون معرفة لاسم الشخص المراد سحرُه واسم أُمّه، وقد يحتاج بجوار هذا إلى قطعة من ملابس الشخص، وتُسمّى تلك القطعة القماشيّة عنده أثرًا، ويُشترط فيها أن تكون مُفْعَمَةً بعرق صاحبها؛ حتى يتسنّى لخُدّام السحر أن يتعرّفوا عليه من خلال رائحة عَرَقِهِ، فيكتب

= ذلك لأن كلمة «سيِّد» في اللغة تعني التيس بين العنزان، وأن كلمة «سِيد» في اللغة تعني الذئب أو المُسِنّ من المعز، وكلتا الكلمتين تُجمع على «أسياد»، أمَّا كلمة «سيِّد» التي بمعنى المَوْلَى ذي الأتباع، أو المُتَوَلِي للجماعة، أو الشريف في قومه - فإنما تجمع على «سادة» لا على «أسياد» كما تقول العامة من الناس؛ ولذا فقد تركت هذا الجمع ليدُلَّ على المعنيين في آنٍ واحد، المعنى الذي يريده العوام، والمعنى الذي أريده أنا؛ لأن شياطين الإنس والجن ما هم إلا تيوس وذئاب، تيوس ينشرون الرذيلة، ويحاربون الفضيلة، وذئاب بخلق الله يمكرون، وعلى عباد الله يعتدون، وهم بربِّهم هم كافرون.

(١) كتاب السحر، لمحمد جعفر - ص (٢٢٥- ٢٢٦).

(٢) الخَنا: الفُحش من القول والزنا.

عليها الساحر طلّسما كهذا مثلاً:[١]



وهو نفسه لا يعرف ما ترمز إليه هذه الطلاسم، غير أنه مطالب من قِبَل الشياطين بكتابتها، وإلّا سَخِطَت عليه، ورفضت التعاون معه على الإثم والعدوان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾[٢].

ومن خلال هذا الطلّسم الذي نقلناه يتبيّن لك مبالغة الأستاذ محمد جعفر في قوله السابق: «ويستغرق صنع الطلّسم وقتًا طويلاً من الساحر»، فهو كما ترى قد يُكتب في دقيقة واحدة، فإذا كانت الدقيقة وقتًا طويلاً عند الأستاذ، فهذه مسألة ما كان لنا أنْ نعرِفَها؛ لعدم معرفتنا باهتمام الأستاذ الشديد بقيمة الوقت في زمنٍ **ضاع فيه الإحساس بقيمته.**

والحق أن الطقوس التي يقوم بها الساحر قبل كتابة الطلاسم هي التي قد

---

(١) نقلاً عن بعض كتبهم الخطّيّة، وهذا في الحقيقة أكثر من طلّسم واحد، فهو عدة طلاسم ظُلِّمات بعضها فوق بعض، ولكنا أطلقنا عليه طلّسمًا على سبيل المجاز من باب تسمية الكل باسم الجزء على حدّ تعبير البلاغيين.

(٢) سورة الأنعام (١١٢). وقد وحّد سبحانه العدوَّ ليُنَبِّهَ على أن الكفر كله ملةٌ واحدة، وإن اختلفت طرقه ومذاهبه وأجناس أصحابه.

تأخذ منه وقتًا طويلاً، وليست كتابة الطلاسم نفسها هي التي تستغرق وقتًا طويلاً، وقد يُحمَل كلامُه على المجاز[1]؛ وعلى كلٍّ فهم يُسمّون تلك الطقوس بالرياضة، وقد تستغرق عِدَّة أيام، حسب السحر المراد القيامُ به.

وعن الطلّسم أيضًا يقول الأستاذ محمد جعفر:

«والطِّلَّسْم هو العمل الذي يقوم به الساحر بمساعدة الشيطان، أو بناء على أمره، على الورق أو القماش أو المعْدِن أو الخشب أو الأحجار الكريمة أو المعجون (كالشمع والطين) بشكل مخصوص في وقت مخصوص، وبحجم وصورة معيّنة؛ لضرر نفر أو أكثر في شخصه أو ما يملك»[2].

---

(١) المجاز في علم البيان: استعمال اللفظ في غير دلالته المشهورة لعَلاقة ما، وهو يقابل الحقيقة. وجدير بالذكر أن المجاز قد أنكره بعض العلماء الأفاضل كشيخ الإسلام ابن تيميّة وتلميذه ابن قيّم الجوزيّة والشنقيطى وغيرهم. وإنما حملهم على إنكاره دخولُه في مباحث العقيدة والتوحيد، وتعلّقه بصفات الله تعالى. فقد تطرّق قومٌ من علماء الكلام فأوسعوا دائرة التأويل في كتاب الله، وادَّعَوْا أن لكل لفظ في القرآن ظاهرًا وباطنًا، وحمّلوا الألفاظ ما لم تحمل أو قل: فوق ما تحمل، ممَّا ألهب نار الحماسة عند الإمام ابن تيميّة ومن تابعه في إنكار المجاز؛ لأنهم رأوا في مثل تأويل «يد الله» بالقدرة تعطيلاً لصفة من صفات الله تعالى، أثبتها الله عز وجل لنفسه، وإنما مذهبهم - وهو الصحيح بالطبع- أن نُثْبِتَ لله سبحانه ما أثبته لنفسه تحت مظلة ليس كمثله شيء. المهم أنهم أخذوا يُنكرون المجاز جملةً وتفصيلاً، وأخذوا يوردون عليه شبهات، فنهض بعض العلماء بالرد عليها، وأجملُ ما قرأت من ردود عليها للدكتور عبد العظيم المطعني في كتابه القيّم [المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع] ونحسب مؤلفه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا نحسبه قد أجاد في الرد أيّما إجادة، وخرج بأن المجاز موجود لا شكّ في ذلك قِيد أُنملة، وإنما يجوز لنا ألّا نجعل له سلطانًا على صفات الله تعالى التي أثبتها لنفسه، أما أن ننفيه مطلقًا، فهذا هو الإجحاف بعينه. والكتاب مطبوع فيرجع إليه من شاء، فموضوعه مهم جدًّا جدًّا، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(٢) كتاب السحر، لمحمد جعفر - ص (٢١٥- ٢١٦)، ويُلاحظ أن الأستاذ استخدم كلمة «نفر» للواحد، بدليل قوله: أو أكثر. . . إلخ، وهي تستخدم في اللغة للواحد والعشرة وما بينهما.

وأعجبني هنا أنْ لمس الأستاذ حقيقة طالما ابتعد عنها في كلامه السابق، تلك الحقيقة هي قوله: «أو بناءً على أمره». وهذه هي الحقيقة بعينها، **والطِّلَّسْم ليس علمًا** معقدًا صعبًا يستحيل على الإنسان فهمه، فهذه كلها كانت مبالغات من الأستاذ، ولكنّ الحقيقة هي أن الشياطين يأمرون الساحر بفعلها دون معرفة منه لها، ولا لمعناها، ولا لدقّتها، ولا لصعوبتها؛ لأن هذا كله لا يعنيهم من قريب أو بعيد، وإنما الذي يعنيهم، أن يُطيع الساحر أوامرهم دون أن يسأل، وأن يتقرّب إليهم بأنواع من العبادات لا تكون إلا لله، كذبح على بعض أسمائهم، وإلقاء الشيء المذبوح في خرابة من الخرابات التي تسكنها الشياطين؛ ليأكلوا منها، وكالصلاة لهم بطريقة غريبة، وكدعائهم بأدعية شركية لا يجوز بها الدعاء، **وخُذْ من ذلك الكثير والكثير**.

ومن ألاعيبهم بمن يعبدونهم ويتقرّبون إليهم بأنواع من العبادات - أنهم قد يُحدّدون للساحر نَوْعًا معيّنًا من المعْدِن أو الخشب، وذلك للكتابة عليه، فيجد الساحر صعوبة بالغة في الحصول عليه، وقد لا يجده، وهم إنما يفعلون هذا لا لأجل خاصيّة في الخشب المعيّن أو المعْدِن المعيّن، وإنما ليزيدوه رَهَقًا بالبحث والتنقيب عن هذا الشيء المطلوب، وقد لا يكون له وجود، فيكون الساحر في ذلك كمن يبحث عن لبن العُصفور، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[1].

أي: شياطين الجن زادوا مَنْ استعاذ بهم ذِلّة وضعفًا، ولست أميل إلى ما قاله بعض المفسرين من أن الإنس هم الذين زادوا شياطين الجن رَهَقًا، فهذا عندي بعيد، والله أعلم بمراده في ذلك.

۞ ۞ ۞

(١) سورة الجن (٦).

مفعول الطِّلَّسْم ومكانه

ونختم الكلام عن الطلاسم بما قاله الأستاذ محمد جعفر عن مفعوله ومكانه، قال:

«ومن الطلاسم ما يحمله الإنسان، ومنها ما يعلّق في مهبّ الريح، أو يُدفن في جوف الأرض أو القبور المهجورة، أو يُلقى في مياه الأنهار والبحار، أو في بئر... ومنها ما يُحرق.. ومنها ما لا تمسه النيران بتاتًا فإذا مسَّته يفسد. ولكن لا يُوجد طلّسْم يُؤكل أو يُشرب»(١).

قلت: بل يوجد من الطلاسم ما يؤكل وما يشرب، كما صرّحت بذلك بعض كتبهم، بل صرّح بذلك على مسمع منّي واحدٌ ممّن ابتلوا بالسِّحْر، وكان يخاطب مَنْ حوله في موضوع الطلاسم، ويجيبهم عن أسئلتهم، وكأنّه الشافعيّ، وحوله تلاميذه يسألونه فيما استعصى عليهم فهمه من أمور الفقه الإسلامي، وكان الحِوار بينهم ملتهبًا، فما أن أحسَّ أحدهم بي قريبًا منهم حتى أسكت الجميع بإشارة من يده، وخيرًا فعل، فما قطع عنيّ إلّا شرًّا، لا فائدة فيه، ولا طائل من ورائه.

وأمّا عن مفعوله، فيحدِّثنا الأستاذ قائلاً:

«ومن الطلاسم ما يستمر مفعوله بضعة أيام، ثم يفسد إلّا إذا تكرّر، ومنها ما يستمر مفعوله بضعة أشهر أو سنوات، ومنها ما يستمر لأجَلٍ طويل، وهذا يندر جدًّا؛ لذلك كان من السهل جدًّا علاج هذه الطلاسم بما يناسبها من التعاويذ والتمائم»(٢).

---

(١) كتاب السحر، لمحمد جعفر - ص (٢١٥- ٢١٦).

(٢) كتاب السحر، لمحمد جعفر - ص (٢١٥- ٢١٦).

قلت: واستخراج الطَّلْسم المدفون في باطن الأرض يُعَدُّ من أبلغ ما يُعالج به المسحور[١]، ويعني بالتعاويذ والتمائم ما خلا منها من الشرك، وكان مفهوم المعنى لدى الجميع، أو لدى مَنْ يقوم بها على الأقل[٢]، وإلّا فيحرُم العلاج بها. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) انظر البخاري (١٠/ ١٣٢ - فتح)، ومسلمًا (٤/ ١٩١٧)، وزاد المعاد (٤/ ١٢٤).

(٢) وتكون الرقية في هذه الصورة مكروهة؛ لأنه يُكره الدعاء بغير العربيّة، وإنما يرخّص لمن لا يُحسن العربيّة، كما قال ابن تيمية فيما نقله عنه صاحب [فتح المجيد] - ص (١٣١، ١٣٢) - نشر دار الفكر. وأمّا عن العلاج بالتمائم التي من كلام الله وأسمائه وصفاته، وممّا يجوز في دين الله، فيُنظر في فصل [حول الحجاب القرآني والرُّقي].

خُدّام السِّحر

كثيرًا ما نسمع عن خدّام السِّحر، وليسوا إلّا أرواحًا كافرة شرّيرة، تُعين الساحر على سحره، وإنما تُجيبه إذا خرج عن دين الإسلام، ونفّذ لهم ما يطلبون من طقوس يشوبها الغموض، وتلتحف في ثياب الخفاء، تتعدّد أساليبها، وكذا أماكنها بتعدّد نوع السِّحر، وما يُراد منه[1].

وممّا لا شك فيه أن **الشيطان قد يدخل بدن الإنسان**، إمّا لسحر كُلِّف إيّاه، وإمّا لسبب ما، وقد نفى بعض مَنْ ينتسبون إلى العلم دخول الجن في بدن الإنسان، وهم في ذلك مخطئون، وبتلك المسألة هم جاهلون، والردُّ عليهم بإسهاب لغوٌ وفضول، ولولا ذلك لقمنا بالرد عليهم بسرد الأحاديث الصحاح المصرّحة بذلك، وهي لا تخفى عليهم، **إن كانوا يعلمون**، ولكنّهم أَلِفوا التأويل[2]، وإضلال الناس عن السبيل.

وخُدّام السِّحر إنما يُؤثّرون في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانيّة التي هي معلّقة بالسُّفليات؛ ولهذا فغالب ما يُؤثّرون في النساء والصبيان والجهّال وأهل البوادي، ومن ضعُف حَظُّه من الدين والتوكُّل الصحيح والتوحيد، ومَنْ لا نصيبَ له من الأوراد الإلهيّة، والدعوات والتعّوذات النبويّة، وبالجملة فسلطان تأثيرهم في القلوب الضعيفة المنفعلة التي يكون ميلها إلى السُّفليات[3].

---

(١) وانظر اليواقيت والجواهر، للشعراني - ص (١٦٠) الجزء الأوّل، مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة.

(٢) التأويل: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنًى آخر، وهو نوعان: صحيح وفاسد، فالأوّل ما استند إلى دليل، والثاني ما لم يستند إلى دليل، والمقصود هنا هو الثاني.

(٣) وانظر الطب النبويّ، لابن قيم الجوزية - ص (١٢٤)، مكتبة الدعوة بالأزهر

وقد كثُر السِّحر في تلك الأيام وفشا، وصار حديث الناس في كل مكان، فلو سألت عنه الحيواناتِ لأجابت، ولو سألت عنه الجمادات لنطقت به وتكلّمَتْ، وحكتْ لك ما يدور بين المعالجين والجن من محاورات مُريبة عجيبة، ممّا جعل بعض الغيورين على الدين يقول في رسالته التي عنوانها [الصرع أسبابه وعلاجه]:

«إن المحاورات التي تدور بين المعالجين والجن قد صارت مُريبة، والحكايات المنقولة في الكتب وعلى الألسنة كثيرة، ومن أمثلة ذلك أن فلانًا مصروع بكذا وكذا جنيًا، وأن الجن من قبيلة كذا، وهو مسلم، ويحضُر درس فلان، وأن القَسَّ[(١)] فلانًا في كنيسة كذا هو الذي سلّطه على المصروع، إلى غير ذلك من الحكايات الكثيرة التي لا تكاد تنتهي، والتي تدعو إلى العجب، وتدلّ على توسّع غير مسبوق، فلو كان خيرًا لسبقونا إليه، وقد مرّ بنا قول النبيّ ﷺ: «**باسم الله، أنا عبد الله، [اخرج] عدوَّ الله**». فأين ذلك من استنطاق الجن في المصروع، ومن المحاورات الكثيرة التي صرنا نسمع بها؟!»[(٢)]. اهـ. بتصرف.

قلت: وواضحٌ من لهجته وعباراته أنّه من الساخطين على التوسّع في المحاورات وأهلها، ويراها لا تخلو من مبالغات وخُزَعْبِلات[(٣)] تَشْغَلُ الناس عن واجب العبوديّة، وعن القيام بطاعة الوقت، كما يرى أن بعض المعالجين قد أساء فهم نصوص الشريعة، وفهم كلام الأئمة في إيجازهم استخدامَ الجن

---

(١) رئيس من رؤساء النصارى في الدين، وهو الآن في مرتبة بين الأسقف والشمّاس (ج) قُسوس، وقد يُطلق عليه: قسّيس، فيجمع على قساوسة وقسّيسين.

(٢) الصرع أسبابه وعلاجه، لسعيد عبد العظيم - ص (٣٨) والتي بعدها، طبع دار الإيمان بالإسكندرية.

(٣) الخُزعبيل: الأباطيل: والخُزعبيلة: ما أضحكتَ به القومَ. يُقال: هاتِ بعضَ خزعبيلاتِك. (مختار الصحاح).

في أمور مباحة لمن استخدمهم، ومن هؤلاء الأئمة الذين أساء بعضُ المعالجين فهمَ كلامِهم - الإمام ابن تيمّية حيث قال فيما نقله عنه صاحب هذه الرسالة: «ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له، فهو كمَن استعمل الإنس في أمور مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم، وينهاهم عمّا يحرم عليهم، **ويستعملهم في مباحاتٍ له**، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك»(١).

وليس هذا فحسب، بل يرى صاحب تلك الرسالة أيضًا أن جحافل(٢) المعالجين قد أهدروا معاني العقيدة والشريعة في علاجهم، بزعم أن شيخ الإسلام ابن تيميّة قد أجاز استخدام الجن، [فيما هو مباح].

والحق يُقال إن كلامه هذا أكثره صحيح واقعيّ، غير أنه يقول:

«بزعم أن شيخ الإسلام قد أجاز استخدام الجن» وسكت على كلمة الجن، وهذا افتراء منه على المعالجين؛ ولذا أضفت عبارة [فيما هو مباح]؛ للأمانة العلمية والأدبية؛ لأن إطلاق الإجازة في اسخدام الجن لا يقول به قليل العلم، فضلًا عن أن يقول به ابن تيمّية (رحمه الله) فكيف يدّعي المعالجون ذلك(؟!)

ولعل الذي حمل صاحب هذه الرسالة على هذا التساهل في التعبير غيرتُه الشديدة على الإسلام وحرماته، وإن كان **هذا لا يُعطي له الحق في التجنّي على الآخرين.**

المُهِمّ أن الأستاذ لم يُبَين لنا كيف أهدر المعالجون تلك المعاني، وكيف أساءوا فهم نصوص الشريعة والعلماء، حتى تطمئن إلى كلامه النفوس، خصوصًا أنه عمّم حكمه على جميع المعالجين دون استثناء لأحدهم، **وتلك مبالغة منه** (عفا الله عنه).

---

(١) الصرع أسبابه وعلاجه، لسعيد عبد العظيم - ص (٣٨).

(٢) الجَحْفَلُ: الجيش الكبير (ج) جَحَافِلُ (المعجم الوجيز - مادة ج ح ف)

ولستُ أشكُّ أن غالب المعالجين قد بالغوا في الأمر، وأكثروا من تلك المحاورات، بدافع من الفضول، كما بالغوا في استخدام الجن فيما هو مباح لهم، حتى لبَّسوا على قطاع كبير من الناس وجه الحقيقة، فبدا للناس ملوَّنًا بعد أنْ كان ناصع البياض نقيَّهُ، فاختلط بذلك عند كثير من الناس الغث والسمين، ونظرةٌ واحدة في كتبهم وفي محاوراتهم - كفيلةٌ بأن تُؤكّد لك ما أقول.

وكان من نتائج هذا التوسّع أيضًا أن اتّخذت النساء هذه الكتب بما تشتمل عليه من محاورات مُعلّمًا لها لفن التمثيل الدراميّ، فتُمثّل دور المريضة بإتقان شديد، قد يَعجز الممّثل الحقيقيُّ عن الوصول إلى مثله، معتمدةً في ذلك على محاورات المعالجين المبثوثة في كتبهم، فالجن الذي على هذه المرأة لن يخرج إلّا إذا أهدى الزوج لزوجته خاتمًا من ذَهَبٍ، فإذا بالزوج يرفض؛ فالميزانية لا تسمح، فيتنازل الجن المزعوم عن خاتم الذهب، ويكتفي بخاتم من فضّة، وهذا الآخر لن يخرج إلا إذا طلّق الزوج زوجته الثانية، وهذا لن يخرج إلا إذا سمح لها والدُها بالخروج وقتما تشاء، حيثما تريد، إلى آخر تلك الروايات الدرامية المؤثّرة التي مؤلفها ومُخرجها وممثّلها الزوجة نفسها أو الفتاة، والمِشْجَبُ[1] الذي تُعلَّق عليه هذه المطالب هو الجنّ الذي ليس له وجود في جسدها، **فالجنيّ بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب**، بل وبراءة الشمس من اللمس. الأمرُ الذي جعل بعض الغيورين على الدين قديمًا وحديثًا يدعو إلى ترك المعالجة كالدكتور محمد إسماعيل، وقد أفردت له فصلاً مستقلًا للردّ عليه فيه، ومنهم من جعل المعالجة برمتها خُزَعْبِلات لا أصل لها، بل منهم من جعلها من جملة الأباطيل والشركيّات، وسنشير إلى هذا الموضوع قريبًا إن شاء الله وقدّر.

---

(١) المِشْجَبُ. ما يعلق عليه الثيابُ ونحوها. (ج) مَشَاجِبُ. (المعجم الوجيز).

نِداءٌ إلى حَوّاء

انطلاقًا من اعتقادي الجازم بأنَّ **حواء هذا العصرِ كان لها نصيب الأسد** من انتشار المسّ الدراميّ الذي أشرت إليه في الفصل السابق، رأيت من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب إيماني العميق بدور المرأة العظيم في بناء مجتمع تسوده الأخلاق الكريمة الفاضلة، ومن باب أنها الأم والأخت والزوجة، والبنت والخالة والعمة، لهذا كله رأيت أن أتوجّه إليها، بهذا النداء فأقول:

ليس من شكٍّ حواءَ هذا العصرِ أنّك تعيشين حُرَّة طليقة ما وسِعَتْكِ الحرّية، ولكنّها حُرّية الأجسام، لا حُرّية النفوس، وما أحْوجَنا إلى الثانية، **فتمزيق ملابسك تحت راية «المودة»**[1] **لا يكاد ينتهي**، فبدلاً مِنْ أنْ كان النظر إليكِ بعين الابن إلى أُمّه وأُخته، أمسى بعين الأسد إلى فريسته **يريد اغتصابها**، فرضيتِ لنفسك بالنظرة الثانية، وتخلّيت عن النظرة الأولى، وما كان أحْوجَنا إليها.

وحقًّا فكم عجِبتُ من اختيارك هذا، غيرَ أنّي أرجعتُه إلى العصر الذي نعيشه، ونتنفّس نسماته، هذا العصر الذي كثُرت فيه الفتن، واشتدَّ فيه الظلم، وانتشر فيه الفساد، واختلفت فيه الأهواء، فما يريده هذا يأباه الآخر، وما يأباه هذا يريده الآخر، ممّا كان من نتائجه المنافرة والمشاحنة بين هذا الذي يريد، وذاك الذي يأبى، ولقد كانت تلك المشاحنات والمنافرات بُداءة ناجحة لأنواع شتّى من البغض والكراهية والخديعة والمكر والدهاء، وما لا يكاد يُوصف، ولا يُحصى من ذلك عددًا.

---

(١) كلمة يعنون بها الحديثَ من الثياب المخالفَ في تفصيله ما كان عليه في العام الماضي.

وأكبر ظنّي - وأرجو أن يكون صحيحًا - أنك لا تفعلين ذلك المجون إلّا لأنّك ترَيْنَ أو تعتقدين أنْ ليس لك من حُرّية النفوس حظّ، وبالطبع فهذا ليس صحيحًا على الإطلاق، **فالمرأة بطبيعتها تمتلك قلبًا طاهرًا نقيًا رقيقًا،** له حظ كبير من حُرّية النفس والقلب والعقل، فهي الأمُّ الحنون، والمُربيّة الفاضلة، والمدرسة التي يتخرّج منها القادة والعظماء والدعاة، ومعنى هذا أن ما ترَيْنه أنت من نفسك ليس له من وجود إلّا في دنيا الخيال والشؤم التي أبيتِ إلّا أن تعيشي فيها.

أختاه، أُصارِحُك القولَ فأنا من المؤمنين بدورك الفعّال على جميع المستويات، وأُعجَبُ بما لديك من قدرات وطموحات، ولكنّي لا أُحبُّ منك هذا الطموح الجارف، ولا أراه يُثير في نفسي إلّا ألمًا وحزنًا، **فالحريّة ليست خلاعة ومجونًا** وملابسَ يخجل الإنسان لوصفها، **وإنّما الحرية أدب ووقار،** وعلم وفكر، والمرأة الشرقية خير من تعرف هذه الحقيقة، غير أنّها تتمرّد، والتمرّد سلوك تأباه طبيعتها الشرقية الإسلامية، وما كان التخلّي عن الفضيلة يومًا أفضلَ ولا أشرفَ من التمسُّك بها.

أُختاه، يقولون لك: اعملي، **ظنًّا منهم أنك لا تعملين،** فهل المرأة المتفرّغة لشئون بيتها غير عاملة(؟!) بالطبع لا، فهذا واجب المرأة الأوّل، بناء أُسرة فاضلة، وحفاظ على القيم والتقاليد الحميدة، وإنجاب لنسل قَويّ تقيّ، وتربية للأبناء من الذكور والإناث، ومتابعة لهم للمحافظة عليهم خُلُقيًا، وصحيًا، وعلميًا، ونفسيًا، وإيمانيًا، وسلوكيًا، وانتمائيًا. تلك المرأة هي العاملة حقًا، وهي المربية للرجال والنساء، والمنشئة للأجيال المتابعة، قادة ومقودين، حُكّامًا ورعيّة، أبَعْدَ هذا كله يقولون لك: اعملى(؟!) **فإنّما يعنون اختلطي بالرجال،** غير أنهم لا يُصرّحون، فهأنذا أقول ما يقولون، مع اختلاف المضمون، أقول لك: اعملي.

أُختاه، دعاك الداعون إلى الحرية، فكانت الحرية خلاعة ومجونًا، ثم

دعاكِ الداعون إلى التعليم، فكان التعليم اختلاطًا وسفورًا، فبدلاً من أنْ تكون للرجل شريكةَ حياة، **صِرْتِ له أداة لهوٍ ولعب**. خدعك الخادعون بأنهم يحترمونك لذاتك، **وإنما هم يحترمونك لأنفسهم**؛ حيث يجدون في أُنوثتك بنظراتها الخائنة الماجنة، وحركاتها المثيرة، وزينتها السافرة، وجسدها العاري، يجدون في هذا كله مُتعة المشاهدة، ولذّة المعاملة، وغنيمة الاختلاط، فياليت شِعْري ماذا أقول[1]، ولسان الواقع قد نطق وأفصح بما سكت عنه قلمي، وأنت تعلمين أو لا تعلمين.

أختاه، هأنذا سائقٌ إليك حال المرأة في الغرب لا على لساني بل على لسان امرأة بريطانية تربّت في جوٍ مسيحيّ كاثوليكي، أملت عليها فطرتها بعض الأسئلة في الدين فلم تجد لها جوابًا مقنعًا في محيط أسرتها، مما كان سببًا في إصابتها بالإحباط والاكتئاب والتوتر النفسي، ثم شاء القدر أن تقرأ بعض الرسائل التي حررها داعية الإسلام التركي «سعيد النورسي» استلهمها من القرآن والسنة النبوية فاطمأن قلبها بقراءتها وهدأت نفسها وشفيت تمامًا من حَيْرتها، فاقتربت من الإسلام فعرفته على حقيقته الناصعة ثم اعتنقته.

وبعد فماذا تقول هذه المرأة، تقول ما ترجمته: «إن واقع المرأة في الغرب محزن للغاية، فقد تعطل دورها في البيت، وتحطمت أنوثتها، وأصبحت

(١) العرب تقول: ليت شِعْري، أي: ليتني أعلم، وليس المقصود من كلمة «شعري» هنا - ما يقوله الشعراء من شِعْرٍ، وإنما المقصود منها هنا الإدراك بلا دليل، والمعنى: ليتني أعلم ما الذي أقوله لكِ، بعد أن نطق وأفصح عنه لسان الحال، بما لا يحتاج إلى مزيد بيان، وأنت تعلمينه، أو لا تعلمينه، إما جهلًا، وإما تجاهلًا. هذا عن المعنى، وأما عن الإعراب، فليت من أخوات «إنَّ» و «شِعْر» اسمها، وياء المتكلم مضاف إليه مبني في محل جرّ، وأمّا الخبر فقد التزمت العربُ حذفَهُ، ثم ذكر بعده جملة مصدرة باستفهام، والتقدير فيما قلناه: ليت شعري عالمٌ بجواب هذا السؤال. وانظر النحو الوافي لعباس حسن (١/ ٦٣٥) ط العاشرة - الهامش رقم (١) منها.

ضحية للمجتمع الغربي، فالنظام القائم يستغل عرض أجسادهن لأغراض الإعلانات والدعاية، فضلاً عن دفع الآخرين للنهم الجنسيّ، وتشجيعهم عليه، وقد أصبحن تحت ضغط متواصل لاقتناء المزيد من الكماليات ووسائل الترف المنزلي.

علاوة على ذلك فإن عرض الأزياء يستغل استغلالاً عجيبًا في الغرب حيث لا يقتصر فقط على حثّ النساء ودفعهنّ لشراء المزيد من الملابس وملاحظة الزينة.. إلخ ولكن أيضًا بتجديد أثاث المنزل بل حتى الحمامات كل سنة أو سنتين وهذا ما يسوقهن بلا شك إلى هجر بيوتهن وعائلاتهن بحثًا عن عمل، والحصول على فرص متساوية مع الرجل في مجال العمل والمهن. **فالمفهوم الخاطئ للمساواة أصبح هو الهدف، فترى في المجالات كلها تشجيعًا للمرأة للحصول على المساواة، مع أن المساواة مع الرجل مخالف للطبيعة البشرية مخالفة تامة، غير أن المرأة خُدعت واستُغِلَّت استغلالاً سيئًا**»[١]. كفاني استشهادًا من كلامك أيتها الأخت المسلمة، ولقد كنت أودُّ أن أنقل كلامك الجميل الجليل كاملاً غير منقوص، وخصوصًا تلك الكلمات التي تقولين فيها: «وأُظهر دور الجنس إظهارًا مفرطًا كأداة لكسب الحرية! وهم بدعوتهم هذه لا يدعون إلى الحرية بل إلى العبودية؛ إذ ما يدعون إليه يخالف طبيعة المرأة متمثلاً بالحرية المطلقة واتباع الشهوات دون رقيب ولا حسيب»[٢].

الله ثم الله ثم الله، لقد قالت فصدقت فأحسنت، وكم تأثرت بكلماتها تلك، مع معرفتي لتلك الحقائق قبل أن تعرفها هي، ولكن الحق على لسان

---

(١) رحلتي من الكنيسة إلى المسجد لماذا؟! ماري ويلدز البريطانية - ترجمة الدكتور طارق عبد القادر. مكتبة النور بالقاهرة.

(٢) المصدر السابق.

من جهله وحُرم منه كثيرًا له عندي مذاق خاص، فهذا أيتها الشرقية مضمون ما قلته لك سابقًا، ولكن على لسان امرأة غربية ذاقت حلاوة الإسلام وروح الإسلام وحرية المرأة الحقيقية في الإسلام.

فيا أيتها الشرقية، أيقظي منك القلب، وابحثي فيه عن الأم المربية، والزوجة الفاضلة، ابحثي فيه عن الطُّهر والنقاء اللذين بهما تحيَيْن حياة الشرف والعفاف، وبهما تبتعدين عن حياة الدنَس والاستخفاف، وإلّا تفعلي يصل بك التمرّد إلى دركات الرذيلة، وحينئذ لا تستطيع الشمس بما طلعت عليه أنْ تُنيرَ منك القلبَ بعد أن انغمس في لُججِ من الغسق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيا أيتها الأمُ الرءُوم، والأخت الحنون، عودي، فما الإيمان منك ببعيد[1]!!

❋ ❋ ❋

(١) وقمين بالقراءة والاطلاع ما يتعلق بهذا الموضوع مما ورد في ظلال سيد قطب، عند الكلام في تفسير قوله جل شأنه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]، في ظلال القرآن لسيد قطب (٣/ ١٢٧٨) وما بعدها. نشر: دار الشروق. وكذلك ما ورد في كتاب: العدالة الاجتماعية في الإسلام ص٥٩ وما بعدها.

حول الحجاب القرآنيّ والرُّقى

تباينت آراء العلماء حول مشروعيّة الرُّقى والتعاويذ، فقائلٌ بمنعها مطلقًا، وقائلٌ بإجازتها مطلقًا؛ ومنهم من فصّل فقال: هي جائزة ما لم تشتمل على شرك، وإلّا فحرامٌ. والرأي الأخير هو الصحيح كما سنعرف إن شاء الله تعالى.

أمّا من جوّزها من العلماء ما لم تكن شركًا، وهم أكثر من غيرهم فقد استدلوا لذلك بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبيّ ﷺ قال: «**إذا فزع أحدكم من النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، ومن شرّ عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون، فإنها لا تضرّه**»[١] وكان عبدالله يُلقّنها مَنْ عقل من ولده أن يقولها عند نومه، ومن لم يعقل كتبها له في صك[٢]، ثم علّقها في عُنقه.

ولكنَّ بعضَ العلماء ضعف هذه الرواية[٣]، وأنها لا تدلّ على جواز تعليق الحجاب القرآني؛ لأن فيها أن ابن عمرو كان يُحفّظ أولادَهُ الكبارَ إيَّاه، ويكتبه في ألواح، ويعلّقه في عنق الصغار، فالظاهر أنه كان يعلّقه في اللوح ليحفظه الصغير، لا على أنه تميمة، والتميمة تكتب في ورقة لا في لوح، وبدليل تحفيظهم إياه، قال: وكيفما كان الأمر، فهو عمل فرديّ من عبد الله بن عمرو، لا يُترك به حديث رسول الله ﷺ وعمل كبار الصحابة الذين لم يعملوا مثل عبد الله بن عمرو رضي الله عنه[٤].

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وحسّنه، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) أي: في ورقة، وهو فارسيّ مُعَرَّب. والجمع: أصُكّ وصِكاك وصُكوك.

(٣) لأن في سندها محمد بن إسحاق، وهو مدلّس، وقد عنعن.

(٤) وانظر حاشية فتح المجيد - ص (١٣١) والتي بعدها - طبع دار الفكر.

ومن هؤلاء العلماء الساخطين على من يُجوِّز الحجاب القرآنيّ - العلاّمة محمد بن حامد الفقي، فاسمع إليه يقول: «ولم ينزل القرآن ليتّخذ حُجُبًا وتمائم، ولا ليتلاعب به المتأكّلون به الذين يشترون به ثمنا قليلاً، والذين يقرءونه على المقابر، وأمثال ذلك مما ذهب بحرمة القرآن وجرّأ الرؤساء على ترك الحكم به»(١).

فها هي ذي نَبْرته وعباراتُه تكادُ تحرقُ مَنْ يقرؤها، بل إنه مِنْ تشدُّده في تلك المسألة قد عدَّ تعليق التمائم من القرآن من أشدّ الاستهزاء بآيات الله سبحانه، كما عدّهُ مُناقضًا لما جاءت به هذه الآيات البينات، الأمرُ الذي جعل العلاّمة ابن باز (رحمه الله) يعلّق على كلامه قائلاً:

«والذي قاله فيه نظر، والصواب أن تعليق التمائم ليس من الاستهزاء بالدين، بل من الشرك الأصغر». اهـ. تعليقه بمعناه.

ولست براضٍ بحكم العلاّمة ابن باز على أن تعليق الحجاب القرآنيّ شرك أصغر - وهو الذي لا يُخرج صاحبه من المِلّة (عياذًا بالله) ولكنه يُنقص ثواب العمل، وقد يحبطه إذا زاد وغلب - وإنما أردت أن أُبيّن لك تشدُّد العلاّمة محمد بن حامد الفقي في تلك المسألة ليس غير، فهو (رحمه الله) يميل إلى عدم إجازة الحجاب القرآني، سدًّا لذريعة الاعتقاد المحظور، لا سيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدّسة، والإيمانُ في قلوبهم أكبرُ من الجبال، فلأنْ يُكره في وقتنا هذا، وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك(٢).

ونلمح تشدّده في تلك المسألة من خلال نصٍّ آخر من نصوصه، يقول

(١) انظر حاشية فتح المجيد - ص (١٣١) والتي بعدها.

(٢) وانظر هذه المعاني في معارج القبول - ص (٤١٢) من الجزء الأول - نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

فيه: «التمائم الشركيّة من طلاسم اليهود وعُبّاد الهياكل والنجوم والملائكة، ومستخدمي الجن ونحوهم، أو من الخرز أو الأوتار أو الحلق من الحديد وغيره - كلُّ هذه الأشياء شركٌ محض[1]، إذ ليست هي من الأسباب المباحة، والأدوية المعروفة. وممّا يُؤسف له أن منهم من اعتقد فيها اعتقادًا محضًا أنها تدفع بعض الأمراض والآلام لذاتها؛ لخصوصيّة (بفتح الخاء وضمّها والفتح أفصح) فيها على حد زعمهم، وهو اعتقاد قريب الصّلة باعتقاد أهل الأوثان في أوثانهم، وكلا الاعتقادين فاسد مخالف للشرع»[2].

قلت: أما عن اعتقاد نفعها بذاتها فلا أختلف مع الشيخ في أنه اعتقاد فاسد مخالف للشرع، وأما قوله: «لخصوصيّة فيها على حد زعمهم» - فيوهم أن الشيخ يُنكر خَصوصيّة بعض الأشياء، وليس من شك أن لبعض الأشياء خَصوصيّةً أودعها فيها الله (جلَّ في علاه) فالنار مثلا لها خَصوصيّةٌ، وهي الإحراق، والذي أودع في النار خاصيّة الإحراق هو الله سبحانه، فالنار تحرق بما أودع الله فيها من خَصوصيّة الإحراق، فإذا نزع الله منها تلك الخاصية لم تحرق، كما فعل سبحانه مع نار إبراهيمَ (عليه السلام) حيث أمرها سبحانه بأن تكون بردًا وسلامًا على إبراهيم، ففقدت النار بذلك الأمر خَصوصيّة الإحراق، مع أن الناس كانوا يرونها مشتعلة، تُحرُقُ الطير في جوّ السماء، ذلك أن خاصيّة الإحراق أُوقفت عنِ إبراهيم (عليه السلام) دون غيره، بنص الآية الكريمة، ولذا كانت النار تَحْرُقُ كل شيء يقترب منها، إلّا مَنْ خصّه النص بالرعاية والحماية الإلهية. المُهمُّ أن **الخاصية ثابتة لبعض الأشياء**، لا يستطيع أحدٌ إنكارها، ولكنّ تلك الخاصية لا تنفع، ولا تضر إلّا بإذن الله، وأما الاعتقاد بأنها تنفع أو تضر بذاتها **فهذا اعتقاد فاسد مخالف للشرع**، والله أعلم.

---

(١) أي: خالص.

(٢) معارج القبول - ص (٤١٢) من الجزء الأول - دار الكتب العلمية.

وأعجبني قول للإمام النووي، قاله وهو يشرح قول النبي ﷺ: «**اقتلوا الحيات، واقتلوا ذا الطُّفَيْتَيْنِ، والأبتر، فإنهما يطمسان البصر، ويستسقطان الحَبَل**».

قال رحمه الله فيما قاله: «يخطفان البصر ويطمسانه بمجرد نظرهما إليه لخاصةٍ جعلها الله تعالى في بصريهما إذا وقع على بصر الإنسان. فها هو ذا رحمه الله يُثبت الخاصية للبصر عند هذين النوعين من الحيات، ليس هذا فحسب، بل يقول بعد أن ساق رأيًا آخر يقول: إنهما يقصدان البصر باللسع والنهش.

يقول: والأول أصح وأشهر»[1].

نعود إلى الرأي الثاني المتشدّد الذي يجعل الحجاب القرآني شركًا أصغر، وهو رأي العلّامة ابن باز (رحمه الله) **والأخذ بهذا الرأي يفتح الباب واسعًا أمام السحرة** والمشعوذين للاستحواذ على عقول الناس، ولا أرى ضَيْرًا من كتابة القرآن والأدعية أو حفظها، فالحفظ ملكة[2] يتمتع بها هذا، ويفقدها ذاك، وتكليف الناس بالقراءة وهم أُميون، وبالحفظ وهم للملكة فاقدون - تكليفٌ لهم بما فوق طاقتهم ووسعهم، ولا يكلّف الله نفسا إلّا وسعها،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ٢٣٠) وما بعدها. ومن ثم نفهم أن لله في الكون سننًا ثابتة، ومن ورائها تقدير الله الذي يحقق هذه السنن في كل مرة تتحقق فيها، وسنة النار إحراق ما هو قابل للإحراق بالحرارة المعينة، ومن وراء إحراقها تقدير الله، فلو قدَّرَ إيقاف هذه السنة عن كل الناس أو عن فرد منهم أو عن عدة أفراد أو عن شيء ما، بشرًا كان أو حيوانًا أو نباتًا أو جمادًا - أُوقفت السنة على الفور، فإذا جاء إنسان ما واعتقد أن النار تحرق بذاتها دون أن يكون هذا سنة لله فيها. يوقفها متى شاء؟ كيف شاء؟ عمن شاء - كان قد كفر بهذا الاعتقاد، أما المؤمن الموحد فهو لا ينكر أن النار تحرق، ولكن بتقدير الله، وليس في هذا الاعتقاد فسادٌ من أي وجه، ولا مخالفةٌ للشرع الحنيف في أي شيء.

(٢) الملكة: استعداد ذِهني أو وجداني لتناول أعمال معيّنة بحذق ومهارة.

فكيف يُقال: إن تعليق الحجاب القرآني شرك أصغر، **هذا تحكُّم وتشدُّد لا مسوّغ له أبدًا**.

وأمّا التمسّك بأن غالب الصحابة (رضوان الله عليهم) لم يفعلوا هذا، **فليس فيه دليل لأحد** على عدم مشروعية التعليق؛ لأن المسألة متوقّفة على حاجة الإنسان إلى الشيء، ومَنْ لم يعلّق كان في غنًى عن التعليق، إما لمعرفته بالقراءة، وإمّا لقوّة ملكته على الحفظ، أمّا من فقد معرفة القراءة، أو ملكة الحفظ، أو كان مِمَّن ابتلوا بضعف ملكة الحفظ، فكيف نطالبه بشيء هو فاقد له(؟!) فالقاعدة العامة تقول: إذا أردت أن تطاع فأمر بما يُستطاع، وهذا المثال أو تلك القاعدة أقرّها القرآن الكريم، حيث قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ثم يُقال بعد هذا: **إن تعليق الحجاب القرآني شرك أصغر**، أو يُقال: يُمنع سدًّا للذريعة، أيَّ ذريعة يقصدون، **فالذريعة لن تشتعل إلا بأنْ تُترَك الساحة** لحُثالة الخلق يعيثون في الأرض فسادًا، ويفتكون بعقول العامة وجيوبهم وأعراضهم، فالأميّ حينما يأتي إليَّ شاكيًا أقول له: اقرأ كذا، احفظ كذا، فسيقول لي: ما أنا بقارئ، ولا أستطيع الحفظ؛ فملكة الحفظ عندي ضعيفة.

ثم إن الحفظ يحتاج أحيانًا إلى إجادة القراءة لقراءة النص المراد حفظُه، وإجادة القراءة مفقودة عنده بل عند كثير من الناس، خصوصًا في مصر، وقد لا يكون عنده تسجيل يستمع من خلاله إلى الدعاء المراد حفظه، وخذ من تلك التعقيدات الكثير والكثير، فيضيق الأميّ ذرعًا، فيذهب إلى حُثالة الخلق (وهم السحرة) فيكون فريسة لهم، والسبب هو التشدُّد والتنطّع، والأميون في مصرَ (والحمد لله) أكثر من أنْ يُحصَوْا عددًا[1]، ومعنى هذا أن الذريعة التي

---

(١) للأُميّة في مصر صور كثيرة؛ فهناك أميَّة القراءة والكتابة، وأميّة الثقافة الدينية الصحيحة، وأمية الثقافة العامة، وأمّية الأداء العلمي... إلخ.

يخافها الشيخ حامد - ستنتشر بشكل مخيف؛ لأنهم فقدوا البديل، ووجدوا السهل اليسير.

ثم إن واحدًا من الصحابة (رضوان الله عليهم!) إذا هو انفرد بقول أو فعل لا يجوز ولا يصح أنكره عليه الصحابة إذا كانوا قد علموا به، فإذا ثبت أنهم علموا بما فعله ولم ينكروه كان إقرارًا على القول أو الفعل، وهو ما يسمى عند ابن تيمية بالإجماع الإقراري، فهم لا يقرون على باطل، وإذا ثبت أنهم لم يعلموا بما فعله فهذا إن عرف من خالفه من الصحابة ولكن بمفهوم المخالفة الصحيح وهو أن يكون الصحابي المخالف له في حاجة إلى الفعل ولم يفعله - فلا يقال: هو حجة.

وأما إذا عرف أنه لم يخالفه أحد ولم يوافقه أحد لم يُجزم بأحدهما ومتى كانت السنة تدل على خلافه كان الحجة في السنة لا فيما يخالفها بلا ريب عند أهل العلم.

كما أن **القول بسدّ الذريعة ليس بابًا مفتوحًا على مصراعيه**، نُدخِل فيه ما نريد إدخالَهُ، وإلّا لقُلنا: إنَّ زراعة العنب مثلا حرام، لأنه يُصنع منه الخمر، وهذا ما لم يرضه الإمام ابن حزم (رحمه الله) وخالف فيه الجمهور، فالسُكِّين مثلاً قد يُقتَل بها، **فهل شراؤها حرام** (؟!).

وفي العقد الفريد[١] لابن عبد ربه، عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عقبة عن شعبة عن أبي عصمة، قال: سألت سعيد بن المسيّب عن تعليق التعويذ...؟ قال: لا بأس به. **وكان مجاهد يكتب للصبيان التعويذ ويُعلّقه عليهم.**

وفي مسند ابن أبي شيبة أن خالد بن الوليد كان يفزع في نومه، فشكا

(١) انظر العقد الفريد (٥/ ٢٢٤) - نشر دار الأندلس. طبع عام ١٤٠٨ هـ.

ذلك إلى النبي ﷺ فقال له: «**أخبرني جبريل أن عِفريتًا من الجن يكيدك، فقل: أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر**[١]، **من شر ما ينزل من السماء، ومن شر كل ذي شر**». فقالهنَّ خالد، فذهب ذلك عنه. اهـ.

قلت: فلو كان المشتكي لا يجيد القراءة، ولا تسعفه ملكة الحفظ لما وسع النبي ﷺ إلّا أن يأمره بكتابتها عن طريق من يعرف، ثم يعلّقها، إذْ لا ضَيْرَ من ذلك، ما دامت الكتابة بالعربية، وبطريقة سليمة لا غموض فيها ولا خفاء، وما دام المكتوب خاليًا من الشرك، ولا يُمتهن بحمله عند قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك، والله أعلم.

وبلغ الأمر بالعلّامة محمد بن حامد الفقي أنْ بالغ في تشدُّده، حتى كاد يُنكر العلاج بالقرآن الكريم جملة وتفصيلًا، بل إن نص عبارته التي سأنقلها لك الآن لَيَدُلُّ دلَالةً (مثلّث الدال) لا لَبْسَ فيها على إنكاره له بالفعل، فاسمع إليه يقول:

«مثل هذا - يعني التداوي بالقرآن - لا يُعمل فيه برأي ليث بن أبي سُلَيم، ولا برأي ابن القيم ولا غيرهما، وإنما يُعمل فيه بالسُّنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ولم يَجِئ عنه (عليه السلام) شيء ممَّا يقول ابن أبي سُلَيم، ولا ابن القيم، وما يُنقل عن وهب بن مُنبّه فعلى سُنَّة الإسرائيليين، لا على هدى خير المرسلين، ومن باب هذا التساهل دخلت البدع ثم الشرك الأكبر»[٢]. اهـ.

---

(١) الكلمات التامات: هي التي كوّن الله بها الأشياء. قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. ومعنى: لا يجاوزهن... إلخ - لا يخرج أحدٌ عن القَدَر المقدور، ولا يتجاوز ما خُطَّ له في اللوح المسطور المحفوظ.

(٢) وانظر فتح المجيد - ص (٣٠٨) وما بعدها - نشر دار الفكر. طبع ١٤٠٩ هـ.

قلت: وقد أذكرني العلّامة (رحمه الله) بمن سئل عن إعراب: جاء خالدٌ، فقال: لا أدري، فقيل له: (جاء) فعل ماضٍ. و(خالد) فاعله. فقال متعجّبا: أنت قلت: جاء خالدٌ، ولم تقل: جاء زيدٌ، فكيف يكون خالد فاعلًا(؟!) فغالب ما يفعله المعالجون على مذهب الإسرائيليين عند العلّامة (غفر الله له)؛ لأن الرسول لم يفعله، فالرسول ﷺ قد فتح لنا الطريق، ولكنه ﷺ لم يتعرّض لجميع الجزئيات في هذا الموضوع، ثم إن الفيصل في النهاية أنْ لا يفعل الإنسان في معالجته ما يخالف الشرع، وما فعله أو قاله ابن أبي سُلَيْم، وابن القيم (رحمة الله عليهما) ليس إلا علاجًا بالقرآن الكريم، وكذا ما يُنقل عن وهب بن مُنبّه ليس إلّا علاجًا بالقرآن الكريم، وإليك نصَّ ما قاله وهبٌ (رحمه الله) **فهو يقول:**

من أخذ سبع ورقات من سدر[١] أخضر، ودقّها بين حجرين (ويجوز دقُّها بشيء آخر، فليس لزامًا أن يكون الدق بحجرين) ثم ضربها بالماء، وقرأ فيها آية الكرسيّ والقوافل[٢]، ثم حسا منه ثلاث حسوات[٣]، ثم اغتسل بما بقي، ذهب عنه كل ما به، وهو جيّد للرجل إذا حبس عن أهله.

هذا هو ما قاله وهب، فأي شيء فيه حتى يتهمه الشيخ بأنه يعمل بسنة الإسرائيليين، **فلا أرى إنكاره هذا إلّا تشدُّدًا وتنطّعًا**[٤] لا مسوّغ لهما، ولعل الذي حمله على هذا الاتهام هو أنّ وهبًا كان كثير النقل من كتب الإسرائيليات.

---

(١) السِّدْرُ: شجر النبق، الواحدة: سِدْرة، والجمع: سِدْرات (بسكون الدال)، وسِدَرات (بفتح الدال وكسرها)، وسِدَر (بفتح الدال). (مختار الصحاح).

(٢) السور التي تبدأ بكلمة (قُلْ)، وهي (الجن - الكافرون - الإخلاص - الفلق - الناس)، ومنهم من استثنى سورة الجن ولا أدري لِمَ .

(٣) أي: شرب منه ثلاث جُرعات، جُرعةً بَعْدَ جُرعة.

(٤) يُقال: تنطع في الشيء، إذا غالى وتكلّف فيه.

«وأما إنكاره ورود شيء من ذلك في السنة - **فليس بصحيح**، فقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك، في سنن أبي داود، في كتاب الطب، أن النبي ﷺ قرأ في ماء في إناء، وصبّه على المريض، وبهذا يُعلم أن التداوي بالقرآن، بأن يُقرأ على الماء، ويُصبّ على المريض - ليس فيه محذور شرعي، ما دامت القراءة سليمة من ناحية اللغة والأداء، وما دام الدواء مباحًا، والله تعالى أعلم»[١]. اهـ. كلام ابن باز مُوظَّفًا.

وفي المعالجة بالرُّقى والتعاويذ يقول ابن تَيميّة (رحمه الله):

«وأما معالجة المصروع بالرُّقى والتعويذات فهذا على وجهين: فإن كانت الرُّقى والتعاويذ ممّا يُعْرف معناه، وممّا يجوز في دين الإسلام أن يتكلّم به الرجلُ، داعيًا الله، ذاكرًا له، ومخاطبًا لخلقه، ونحو ذلك - فإنه يجوز أن يرقى بها المصروع ويُعوّذ، فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه أَذِن في الرُّقى ما لم تكن شركًا[٢].

وقال ﷺ: **«من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل»**[٣].

«وإن كان في ذلك كلمات محرّمة، مثل أن يكون فيها شرك، أو كانت مجهولة المعنى، يحتمل أن يكون فيها كفر، فليس لأحد أن يرقي بها، فإن ما حرّمه الله ورسوله ضرره أكثر من نفعه، وكثيرًا ما يعجز أرباب العزائم الشركية عن دفع الجنيّ، وكثيرًا ما تَسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل الجنيّ الصارع للإنس أو حبسه، فيخيّلون إليه أنهم قتلوه أو حبسوه، ويكون ذلك تخيّلاً وكذبًا»[٤].

---

(١) وانظر فتح المجيد ص (٣١٠) حيث كلام ابن باز الذي نقلناه موظّفا ليناسب المقام.

(٢) انظر صحيح مسلم (١٤/ ١٨٧ - نووى).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٧). والحديث في صحيح مسلم (١٤/ ١٨٦ نووى).

(٤) مجموع الفتاوى (١٩/ ٤٦).

وبمناسبة قوله (رحمه الله): «فيخيّلون إليه أنهم قتلوه» أقول: وكثير من المعالجين بالقرآن يقع في هذا الوهم، فيقول له المريض: لقد رأيته يُحرَق، لقد رأيته يبكي، فيصدّق المعالج هذه الأكذوبة، ويظنّ أنه قد انتصر على الجنيّ في تلك المعركة، فيقرأ الرقية الشرعيّة على المريض مرة ثانية، فيجد أن المريض قد ظهرت عليه ملامح المسّ وأعراضه، ولو أن سياسة الرسالة تسمح بسرد مثل هذا لسردته؛ لأبين لك أن كثيرًا من المعالجين يُصدّقون كل ما يُقال لهم من قِبَل المريض، وقد يبنون عليه أشياء أخرى، وقد مضى بنا بعض مبالغاتهم في هذا الموضوع، وستأتي مناسبة أُخرى لكلام ابن تيمية هنا في فصل حول تعذيب الجن في جسد المريض.

أما الرُّقى فهي نوعان، إمّا أن تكون بأسماء مجهولة، وإمّا أن تكون بأسماء معلومة. أما الرُّقى بالأسماء المجهولة فقد قال عنها شيخ الإسلام - فيما نقله عنه صاحب كتاب [فتح المجيد]-: كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقي به، فضلًا عن أن يدعو به، ولو عرَف معناه؛ لأنه يُكره الدعاء بغير العربية، وإنما يرخّص لمن لا يُحسن العربية، فأمّا جعل الألفاظ الأعجمية شعارًا، فليس من دين الله. اهـ.

ثم جاء في الحاشية تعليقًا على كلام شيخ الإسلام ما نصه:

وذلك مثل قول أرباب الطرق الصوفيّة في أورادهم: كركدن كرددن دهده أصباء وات أهيا شراهيا جلجلوت[1]، وأمثالها ممّا يقولون عنه: إنه ذكر الله،

---

(١) أغلب الظن أنها كلمات عبرانيّة؛ لأنها متضمّنة للكلمة (هيا شراهيا)، وهي كلمة عبرانية معناها: يا حيُّ يا قيُّوم، كما جاء في مُعجم العين المنسوب للإمام الخليل بن أحمد (٣/ ٤٠١) وانظر أيضًا (٦/ ١١٤).

وأغلب الظن أيضًا - بناءً على هذا الأثر من كتاب العين - أنها دعاء لله سبحانه، وعليه فتأخذ الحكم الذي قال به شيخ الإسلام، وهو كراهة الدعاء بها لمن يُحسن الدعاء بالعربية، وإنما يُرخّص لمن لا يُحسن الدعاء بالعربية، وهذا مفهوم كلامه رحمه الله.

فهذا كلّه ليس من دين الإسلام في شيء؛ لأن الإسلام عربيّ متين، وهذا وغيره يدلّ على أن أصل هذا الطرق الصوفية خدعة يهوديّة هنديّة فارسيّة يونانيّة، كادوا بها للمسلمين، ففرقوهم شيعًا وأحزابًا، وملئوا قلوبهم من الشرك في الإلهيّة، والشرك في الربوبيّة، فوصلوا من ذلك إلى ما يريدون من تقويض الدولة الإسلامية[١].

قال السيوطي فيما نقله عنه صاحب الفتح:

قد أجمع العلماء على جواز الرُّقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.

٢- وباللسان العربي وما يُعرف معناه.

٣- وأن يعتقد أن الرُّقية لا تؤثّر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى، وإنّما هي سبب من الأسباب[٢].

وخلاصة القول في الرُّقى أنها جائزة ما لم تكن شركًا، وإذا كانت بالعربية، وكذلك التمائم التي من القرآن؛ لأن القرآن كلام الله؛ وصفة من صفاته، ليس بشرك، فلا يُمنع اتخاذ التمائم منه رجاءَ بركته[٣].

فإذا جهل معنى شيء من ذلك، فله صورتان:

الأولى: أن يكون معناها مجهولًا عند مَنْ يقولها وعند غيره من الناس.

---

(١) وانظر فتح المجيد - ص (١٣١- ١٣٢). نشر دار الفكر، وكذا فتح الباري (١٠/ ١٩٥).

(٢) وانظر فتح المجيد - ص (١٣١- ١٣٢). نشر دار الفكر وكذا فتح الباري (١٠/ ١٩٥).

(٣) لم أجدْ فيما قرأتُ من أدلّة منع الحجاب القرآني ما قد يصمد أمام النقد إلّا ما يقولونه من عموم النهي، ولا مخصّص لهذا العموم. أمّا سدُّ الذريعة والامتهان فواهيان، والله أعلم.

والثانية: أن يكون معناها مجهولاً لدى الناس ومَنْ يقولها يعرف معناها، وأنها خالية مما هو شرك.

فالأولى لا يجوز الرقية بها؛ خوفًا من أن تكون مشتملة على الشرك.

والثانية يكره العمل بها؛ لأنه يكره الدعاء بغير العربية كما قال ابن تيميّة (رحمه الله) في كلامه السابق.

وما أجمل تلك الكلمات المنظومات التي تقول:

أما الرُّقى المجهولةُ المعاني — فذاك وسواسٌ من الشيطانِ
وفيها قد جاء الحديثُ أنها — شركٌ بلا مريةٍ فاحذرنَّها
إذ كلُّ مَنْ يقولها لا يدري — لعلَّها تكون محضَ الكُفرِ
أو هي من سحر اليهود مُقْتَبَسْ — على العوام لبَّسوه فالْتَبَسْ
وفي التمائم المُعلّقاتِ — إنْ تكُ آياتٍ مبيناتِ
فالاختلاف واقعٌ بين السلَف — فبعضُهم أجازها والبعضُ كَفْ
وإن تكنْ ممّا سوى الوحيَينْ — فإنَّها شركٌ بغير مَينْ
بل إنَّها قسيمةُ الأزلامِ — في البُعدِ عن سيما أُولي الإسلام[(١)]. اهـ

وأعجبني بيت لأبي ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيِّ يقول:

وإِذَا المنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا — أَلْفَيتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

---

(١) الأبيات من كتاب معارج القبول، للشيخ حافظ بن أحمد حكمي، بتصرّف يسير، ويلاحظ أنه قد ذكر الاختلاف بين السلف في التمائم المعلّقات إذا كانت من القرآن، وانظر البيتين الخامس والسادس.

هذا وقد تضمّن البيت السادس كلمة «البعض» وإدخال «ال» على كلمة «بعض» من الأخطاء اللغوية الشائعة، وانظر القاموس. ولو أنه قال: وبعضهم أجازها والثاني كف - لسَلِمَ من هذا الخطأ ولَاستقام له الوزن أيضًا. وانظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها للإمام السيوطي (٢/ ١٥٨) ط ثالثة - نشر دار التراث بالقاهرة.

فهما أنتم أولاءِ ترون الشاعر قد استعار النشوب للمنيّة التي هي الموت، وكأنّ الموت أسدٌ كاسر، يتمتّع بأظفار حادة قويّة، يمكنه من خلالها أن يعلق في الإنسان، فلا يتركه إلّا ميْتًا، وحينها لا تنفع التمائم بكافة أشكالها وصورها، ومن ثَمَّ كانت هذه الاستعارة عامرة بالدلالة على ضعف الإنسان؛ إذْ لا يستطيع أنْ يدفع عن نفسه مُصيبة الموت، كما لا يستطيع أن يدفعهه بشيء خارج عنه، كالتمائم مثلًا. فالبيت كما ترى يُبرز في صورة مخيفة حقيقةً طالما حاول الإنسان تناسيها، وطالما غفل عنها الغافلون، وهرب منها الهاربون، ولكن هيهات هيهات ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾(١) فالله نسأل أنْ يُميتنا على الإسلام، وأنْ يدخلنا الجنة بسلام!

۞ ۞ ۞

---

(١) الجمعة: ٨ .

كُتُبُ الرُّوحانِيّات

كنتُ قد أشرت في المُقدّمة إلى أنَّ كتب الرُّوحانِيّات كغيرها من الكتب الأخرى، من حيث إن واحدًا منها لا يخلو ممّا هو غث، وممّا هو سمين، وتلك مسلّمة، فكتاب البخاري مثلاً - هو أصحّ الكتب بعد كتاب الله سبحانه، ومع ذلك لم يَسْلَمْ من تضعيف العلماء لبعض الأحاديث الواردة فيه، وهذا شأن العمل البشري؛ ولذا ليس من التساهل أن أورد نصًا أو أكثر من تلك الكتب الرُّوحانية، إمَّا لإقراره لخلوّه مما يعارض الشريعة الإسلاميّة، وإمَّا لنقده وتسفيهه.

ومن النصوص التي وقفت عليها، ولا أجد فيها ولا في العمل بها بأسًا - هذا النص الذي سأسوقه إليك، فقد جاء في كتاب من تلك الكتب ما نصه:

«اعلم وفقني الله وإياك لطاعته أن الرجل إذا كان يستمني قبل دخول أي شيء، فاعلم أن هذه نظرة من الجن[١]، فاعمل له ما يلي يحصُل المراد بإذن رب العباد.. اكتب له على لُقمتَيْن من رغيف قَمح، على اللقمة الأولى: والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون. وعلى اللقمة الثانية: والأرض فرشناها فنعم الماهدون، ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون. ثم تأكل المرأة اللقمة الأولى، ويأكل الرجل اللقمة الثانية، يبرأ كلاهما بإذن الله.

أمّا إذا كان القضيب ينتشر، وعند الملاصقة ينكمش حتى يكادَ يدخلُ في سُرّته، فهذا هو الرباط الحقيقيّ، ويكون ذلك بسبب سِحْر. والله أعلم». اهـ.

---

(١) وردت أحاديث صحيحة تؤكّد أن الجن قد تُصيب الإنس بالعين، وانظر صحيح البخاري (١٠/ ١٧١)، وصحيح مسلم (٢١٩٧)، وصحيح ابن ماجه (٢٨٣٠)، والترمذي (٢٠٥٩).

وهذه الطريقة السابقة ذكرها صاحب كتاب (الأعشاب والجن)[١] بطريقة مختلفة حيث جعل اللقمتين ثلاث لُقَم، وأجاز أن تستبدل البيض باللُّقَم[٢]، وأعطى كلًّا من الزوجين لقمة أو بيضة يأكلها، ثم قسّم اللقمة الثالثة أو البيضة الثالثة عليهما، ولعله أخذ هذه الطريقة من كتب الرُّوحانيّات ثم غيَّر فيها وبدّل ليُخفي خلف هذا التغيير والتبديل نسبة الطريقة إلى كتب الرُّوحانيّات، فإذا قصد ذلك، فهذا منه غير محمود؛ لأن الطريقة لا غُبار عليها؛ لأنها لم تخالف الشريعة الإسلامية، ولا يغرّنّك أنْ أوردها صاحب كتاب [الرد المبين على بدع المعالجين][٣] تحت عنوان «طعام لكل سحر»، هو يقصد بذكرها تحت هذا العنوان أنها لا تجوز، غير أنه لم يُبيّن لنا على عادته في هذا الكتاب الدليل القاطعَ على عدم إجازتها، ولعلّه يقول: لم يرد بها نصّ، وله نقول: إن نصوص الشريعة لم تأتِ لتُعلِّم الناس تفاصيل المعالجة بالقرآن بكل دقائقها وتفاصيلها، والمُعوّل عليه في المعالجة ألَّا تشتمل الطريقة على ما يخالف الشريعة وغرابة الطريقة كما قلنا وسنقول لا تقدح في صحتها، فالطريقة الآتية قريبًا من الغرابة بمكان، ولم ينزل بها نصٌّ، ومع ذلك فهي لا تخالف ظاهرَ

---

(١) ص (٦٥) كما في هامش الرد المبين.

(٢) هذا الأسلوب يُخطئ في استخدامه كثير من الناس، وخاصة المُهتمين بعلمي النحو واللغة، فيقولون مثلًا: «استبدل خالدٌ السيارةَ القديمةَ بسيّارةٍ جديدةٍ». وهذا معناه في اللغة أن خالدًا كان يمتلك سيارة جديدة فتركها وأخذ بدلاً منها سيارة قديمة، وهذا غير مقصود على الإطلاق، ولكي يكون الأسلوب صحيحًا من الناحيتين النَّحْوية واللُّغوية نقول: «استبدل خالدٌ السيارةَ الجديدةَ بسيارةٍ قديمةٍ»، فالباء التي في كلمة «بسيّارة» هي التي تدخل على المتروك، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ فالمتروك في هذه الآية - الذي هو خير، وليس الذي هو أدنى. ومن هنا نعلم أن الباء في قولي: وأجاز أن تستبدل البيض باللُّقَم داخلة على المتروك الذي هو اللّقم، فافهم ترشد. والله أعلم.

(٣) ص (١٨١) الطبعة الثانية.

الشريعة في شيء، وإلّا لما ذكرها بعض العُلماء، ولَمَا أقرّها ابن حجر رحمه الله.

ثم اعلم أن من ذكر هذه الطريقة السابقة بنصها ولم يُغيّر فيها كما فعل غيره - هو صاحب كتاب [حوار مع الجن](١)، غير أنه أضاف إليها شيئًا جديدًا، وهو أن يأكل الرجل لُقمته على الريق، وكذلك زوجته، ولعلَّ هذين المؤلفين قد اطّلعا على هذه الزيادات والإضافات في كتاب لم أطلع عليه من كتب الرُّوحانيّات، وما أكثرها، وخلاصة القول في هذه الجزئية أن إيراد صاحب كتاب [الرد المبين على بدع المعالجين] هذه الطريقةَ وما شابهها تحت هذا العنوان قاصدًا بذلك عدم إجازتها - ليس موضوعيًا على الإطلاق، فهو يريد أن ينزل القرآن الكريم بنصوص تفصيلية للمعالجة، فينزل نصٌّ من القرآن مثلاً يقول: هذه الآية من الممكن أنْ تكتب على بيضة، وتستخدم لعلاج المربوط، أهذا ما يريده صاحب الرد المبين(؟!) وقد أذكرني هذا المؤلف (عفا الله عنه!) بنكتة يقولونها، وهي أن رجلاً سأل فقيهًا عن حكم التدخين، فقال له الفقيه: حرام بدليل قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾. فقال الرجل للفقيه: هذا ليس دليلاً، فأنا أريد آية صريحة تقول: يا أيها المؤمنون، اجتنبوا التدخين فإنه شرٌّ مبين.

ولكن من باب إنصاف الحقيقة فكتابه لا يخلو من نقد جيّد لبعض ما أدخله بعضهم في المعالجة بالقرآن الكريم، وليس منها، كالطلاسم المُطعَمة بالآيات القرآنية، وكتابة القرآن تحت السُّرَّة؛ لعلاج المربوط، ومثل هذا يُعدُّ من أشدّ الاستهزاء بالقرآن الكريم، وفيه من الإهانة لكتاب الله ما لا يخفى على ذي لُبّ، ولو استعظم مثلُ هؤلاء كتابَ الله في قلوبهم، لمَا اجترءُوا على أن يكتبوا مثل هذا. سبحانك هذا بهتان عظيم!

(١) ص (٢٨١) كما في هامش الرد المبين.

ومن المعالجات الصحيحة التي قد ينكرها بعضهم لغرابتها عنده - تلك الطريقة:

«قال قتادة لسعيد بن المسيّب في رجل به طب أُخذ عن امرأتِه أيَحِلّ ينشر؟ قال: لا بأس، إنما يُراد الإصلاحُ، فأما ما ينفع فلم يُنْهَ عنه. قال نصوح: فسألني حمّاد بن شاكر: ما الحل وما النُّشْرة؟ فلم أعرفهما.

فقال: هو الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله، وأطاق ما سواها، فإن المُبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأسًا ذا قِطارَيْن[١]، ويضع الفأس في وسط تلك الحزمة، ثم يؤجِّج نارًا في تلك الحزمة، حتى إذا احمرّ الفأس، استخرجه من النار، وبال على جمره، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى»[٢]. اهـ.

المقصود أن العلاج إذا خلا من المخالفة والشرك فلا ضير من العمل به، مهما بدا غريبًا، فالمسألة لا تُقاس بالهيئة الفعليّة، وإنما تُقاس بالمضمون والاعتقاد، فابن حجر (رحمه الله) حينما أورد هذه الطريقة وأقرّها، ليس لاعتقاده (رحمه الله) في أن الفأس هي التي تشفي، وهذا ما يُنزّه عنه مَنْ هو أقل من ابن حجر عِلْمًا وورعًا وتقوًى، فما بالك بابن حجر (رحمه الله) فالطريقة غريبة لا شك في ذلك، ولكنها في الوقت نفسه لا تشتمل على مخالفة شرعية، إذْ لو اشتملت عليها، لما أقرّها ابن حجر، وهو مَنْ هو عِلْمًا وورعًا وتقوًى.

ومن الطرق التي قرأتها في كتب الرُّوحانيّات، ولا أجد في العمل بها بأسًا

(١) أي: ذا ناحيتين على نَسَقٍ واحد، وهو يشبه ما يُسمَّى الآن بالحجّاري. وكان له أن يقول: قُطْرَيْن؛ أي: ناحيتين؛ لأن القُطرَ في اللغة معناه الناحية، وإنما قال: قِطارَين؛ لأن القِطارَ من الإبل - عدد منها بعضه خلف بعض على نَسَقٍ واحد، فاستعاره الشيخ للفأس، وهذا جائز في العربية. والله أعلم

(٢) وانظر فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٢٣٧)

طريقة تُكتب لوقف النزيف عند المرأة، إذا كان سببه سِحْرًا أو مسًّا، تلك الطريقة هي:

«بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ﴾ انقلب أيها الدم بحق رب آدم وحوّاء، ومَنْ أُرسِلَ من الأنبياء، والرسل الكرام، انقلب بألف ألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلّم. آمين. ثم علّقه على رأسها[1].

ثم اكتب قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ ثماني مرّات، في ثماني ورقات صغار جدًّا، وتبلعُ المريضة واحدة في الصباح، وأُخرى في المساء، وهو من الأشياء المجرّبة الشريفة»[2]. اهـ.

ومنها أيضًا لوقف النزيف كما جاء في كتاب يُنسب للإمام السيوطي:

«يؤخذ كُرّاث المائدة[3]، ويُخرط مثل الملوخيّة، ويُغمز بالماء[4]، ويُطبخ حتى يستوي، ثم يُصفّى ماؤه، ويُبرد، ويُسقى منه المنزوف، وتتحمّل [المرأة] في فَرْجِها بالتفل، فإنّه ينقطع عنها بإذن الله تعالى. مجرّب مرارًا عديدة عن الشيخ موسى السقطي، والله أعلم». اهـ.

---

(١) اختلف العلماء في مشروعية تعليق الحجاب القرآني، فانظر في ذلك الفصل السابق لهذا.

(٢) وإنّما اكتستْ تلك الطريقة بالشرف، لذكر الله فيها، وذكر رسوله الكريم، وقولُه «مَنْ أُرسِل من الأنبياء» عطفٌ على قوله: «آدمَ وحواءَ»، والمعنى: وحقّ ربّ مَنْ أُرسِل من الأنبياء.

(٣) كُرّاث المائدة: عُشبٌ مُعمّر، من الفصيلة الزنبقيَّة، ذو بصلة أرضيَّة، تخرج منها أوراق مفلطحة ليست جوفاء، وفي وسطها شمراخ يحمل أزهارًا كثيرة، وله رائحة قويّة. ومنه الكُرّاث الشامي، وهو أبو شوشة. (المعجم الوجيز). وأما كُرّاث المائدة، فهو الكُرّاث المِصري.

(٤) أي: يُغمس في الماء، ولعلَّهُ عبّر بالغمز بدلاً من الغمس؛ ليُفيد أن الماء يجب أن يكون قليلاً. والله أعلم.

والطُّرق التي لا غُبار عليها في تلك الكتب كثيرة، وليس هذا موضعَ بسطها، وإنما أردت أن أبيِّن وأُؤكدَ ما قلتُه في المقدّمة، من أن كتب الرُّوحانيّات لا تخلو من فائدة، وإنْ كان أكثرها غثًّا، فهي تحتاج إلى تنقيح، وتمحيص. هذا والله أعلم.

مسألة: ارتبطت كلمة «الرُّوحانيّة» في أذهان كثير من الناس بالسحرة والدجّالين، فكادوا لا يسمعونها إلّا ومثَلَتْ صورة الساحر أو الدجّال في مخيّلتهم. فالروحاني عندهم هو الساحر أو الدجّال. والحقُّ الذي لا مرية فيه هو أن وضع هذه الكلمة والوقوف بها في هذا النطاق الضيّق لمِنَ الخطأ العظيم، وسببه الجهل بالعربية وآدابها، ولتوضيح ذلك أقول مستعينًا بالله وحده: **اعلم رحمني الله وإياك، أنه قد جاء في كتاب «الفوائد»[1] لابن قيّم الجوزيّة، تحت عنوان «عُلويّة الروح وسُفليّة البدن» - ما يلي:**

«خُلق بدنُ ابنِ آدمَ من الأرض، وروحه من ملكوت السماء، [ثمّ] قُرِن بينهما، [فإنْ] أجاع [ابن آدم] بدنه وأسهره، وأقامه في الخدمة، وجدت روحه خِفّة وراحة، فتاقت إلى الموضع الذي [منه خُلقت]، واشتاقت إلى عالمها العُلويّ، وإذا أشبعه ونعّمه ونوّمه، واشتغل بخدمته وراحته، أخلد البدن إلى الموضع الذي [منه خلق] فانجذبت [معه الرُّوح]، فصارت في السجن، فلولا أنّها أَلِفت السجن لاستغاثت من ألم مفارقتها وانقطاعها عن عالمها الذي [منه خُلقت]، كما يستغيث المُعذَّبُ.

وبالجملة فكُلّما خفّ البدن لطُفت الرُّوح، وخفّت وطلبت عالمها العُلويّ، وكُلّما ثقل وأخلد إلى الشهوات والراحة، ثقُلت الروح، وهبطت من عالمها، وصارت أرضيّة سُفليّة». اهـ بتصرف

قلت: وبناءً على ما قاله ابن القيّم في كتابه القيّم، فإذا أطلقنا على مَنْ قام

---

(١) الطبعة الأولى - نشر دار الدعوة - ص (١٣٣).

بالخدمة على حدّ تعبيره، وأدّى الفرائض على وجهها الصحيح، وجاهد نفسَه، وأرضى ربَّه، إذا أطلقنا عليه «الرُّوحانيّ»، فإنّما نكون قد نسبناه إلى الرُّوح وأعمالها العُلويّة، ومعنى هذا أنّنا نسبناه إلى الصلاح والتقوى، ولا أرى في ذلك ضَيْرًا. أما كَوْن الكلمة قد أُسيء استخدامُها، وأخذ الناس يُطلقونها على كلِّ مَنْ هبَّ ودبَّ، فهذا ما لا نستطيع التحكُّمَ فيه بوجهٍ منِ الوجوه، اللهم إلّا إذا وكّلنا بكل إنسان ملكَيْن يكتبان ما يقول، ثم نحاسبه عليه، وهذا ما لا طاقة لمثلنا باحتمال مثله، بل لا قُدرة لنا عليه ألبتة.

ومنهجي كما بيَّنتُهُ في التمهيد هو ألّا أحتفل بظاهر الأسماء، وإنّما أحتفل بالمضمون، فحينما أسمع عن شخصٍ ما أنه رُوحانيّ أنظر فيما يقوم به، وبعدها أستطيع أن أحكم عليه بما رأيته منه من صلاح أو طلاح، فإن أظهر فِسْقًا حكمت بفسقه، وإذا أظهر صلاحًا حكمت بصلاحه، وهكذا في كل المسائل، فما في القلوب لا شأن لي به، فإنما علمه عند ربِّي، أمَّا أنْ أحكم على كل مَنْ تُطلق عليه هذه الكلمة أنه ساحر، أو فاسق، أو مشعوذ، أو دجّال، فهذا هو الخطأ بعينه والضلال المبين.

وكذلك حينما نُطلق على الجن كلمة الرُّوحانيين، فإنما نعني بذلك، أنهم مستترون عن العيون، كما أن الرُّوح لا يراها من أحد، فبَيْن الجن والرُّوح وجه شبه، فإطلاق كلمة الرُّوحانيين على الجن من باب التوسّع في لغة العرب، ولا أرى منه ضَيْرًا، فلِمَ نُضيّق على أنفسنا، وساحة اللغة واسعة؟! ولِمَ التمسُّك بالشكليات وترك المضمونات، وما أحوجنا إلى درسها وفحصها، وبمناسبة هذا الموضوع لا أرى ضَيْرًا من أختم تلك المسألة ببيتين جميلين يقولان:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ ... أَتَطْلُبُ الرِّزْقَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ

حَوْلَ تَعْذيبِ الجنِّ في جَسَدِ المريضِ

ذكر شيخ الإسلام ابن تيميّة، فيما نقله عنه صاحب رسالة [الصرع أسبابه وعلاجه](١) «أنه قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجنيّ عنه إلى الضرب، فيُضرب ضربًا كثيرًا جدًّا، والضرب إنما يقع على الجنيّ، ولا يُحسّه المصروع، حتى يفيق المصروع، ويُخبر أنه لم يُحسّ شيئًا من ذلك، ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعصًا قويّة على رِجْلَيْه، نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة أو أكثر أو أقل، بحيث لو كان على الإنس لقتله، وإنما هو على الجنيّ، والجن يصيح ويصرخ، ويُحدّث الحاضرين بأمور متعدّدة.

ويذكر ابن تيمية (رحمه الله) أنه فعل ذلك، وجرّبه مرّات كثيرةً يطول وصفها، وكان ذلك بحضرة كثيرين». اهـ بتصرّف يسير.

وقال ابن القيّم(٢): «يجوز ضرب الجنيّ وتعذيبه وسبّه وقتله إن أصرّ على العُدوان». اهـ.

قلت: وفي جواز ضرب الجنيّ وسبّه نظر بيّن؛ لمَا ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**». قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه(؟!) قال: «**نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبّ أمه، فيسبّ أمه**»(٣).

ولسائل أن يقول: هذا عن الشتم، فماذا عن الضرب؟

قلت: الضرب وسيلة قد تُؤدِّي إلى أن يشتم الجني أبا المعالج وأمَّه،

---

(١) لسعيد عبد العظيم - ص (٧٢) - نشر دار الإيمان بالإسكندرية.

(٢) انظر زاد المعاد - ص (٨٥). وانظر: الدلالة في عموم الرسالة - ص (٤٥).

(٣) رواه البخاري (١٠/ ٥٩٧٣ - فتح)، ومسلم (١/ ٢٧٧- نووي).

فالنتيجة من الشتم والضرب واحدة، وما أفضى إلى مُحرّم فهو مُحرّم، كما أن معرفة الضرب أَعَلَى المريض ينزل أم على الجني - لا تحكمها ضوابط أو علامات، بدليل من قُتلوا نتيجة للضرب فيما قرأناه في بعض الصحف والجرائد والمؤلفات. والله أعلم.

وبمناسبة الكلام عن تعذيب الجنيّ وقتله أقول: كثيرًا ما نسمع من بعض المعالجين أنهم يَحْرُقُون الجنيّ المعتدي في الجسد بآيات بينات معيّنة، ويسجنونه ببعض سور من القرآن، **ومما يُثير الدَّهَش** أن يُسوّد صاحب كتاب [المنهج القرآني...] عدة صفحات من كتابه، يذكر فيها أنواع الجن وألوانهم، وزعم أن لكل لون ما يَحْرُقه من آي القرآن، وقد شرح طرق الحرق لكل نوع منها، وله في ذلك تقسيمات، فهو يُقسّم الحرق على نوعين:

(أ) حرق عام، وهذا يُستخدم مع جميع تلك الأنواع التي ذكرها في كتابه هذا، دون استثناء لنوع منها، **كما هو ظاهر كلامه**.

(ب) حرق خاص، ويتمُّ بعد معرفة ديانة الجنيّ المعتدي ولونِه، ثم يُنظر إلى ما يناسبه من آيات الحرق الخاص التي ذكرها صاحب الكتاب، والتي قد تَمَّتْ تجربتها عنده في الحرق.

ومن هنا يأتي السؤال: **ما مدى صحة هذا الكلام؟** وهل هذه الآيات تُحرِق مع كل الناس أم مع أُناسٍ بعينهم، وإذا كان ذلك كذلك، فما الضابط الذي يجب توافره في الشخص حتى تُحرِق معه تلك الآيات البينات، ثم إذا قيل: إن المريض قد رأى الجني المعتدي يحترق أثناء قراءتها كما نسمع كثيرًا، فكيف نتأكّد من صحّة كلام المريض، وقد عرَفنا فيما مضى من كلام ابن تيمية أن الجن قد يخيّلون لمن يحاربهم أنهم حُرقوا، والأمر خلاف ذلك[١]، ويؤكد كلام ابن تيمية أن بعض المعالجين قالوا: حرقنا الجنيَّ المعتدي. وبعده

(١) انظر ص (٧٧).

انصرافهم بدقائق معدودة، يعود الجني نفسه يَصْرُخ ويُهدّد، وإذا كان هناك جني مسلم يُخبر المعالج بهذا، فما الذي يُؤكد لنا أنه صادق معه فيما يُخبره به من موت الجني فلان، كل هذه أسئلة حائرة لا تجد لها جوابًا مُقنعًا، يُهدِّئ من سَوْرتها وحَيْرتها. فالمعالجون يقولون: هذا يُحْرِق، وإذا فعلته اصطدم الواقع مع قولهم وكذّبه، فيهربون من هذا المأزق بفلسفات لا تُسمن ولا تغني من جوع، وكما يقولون: التجربة خير بُرْهان، فالذي لا يَصْمُد أمام التجربة يصير كلامًا في الهواء، أو حِبْرًا على الورق، وما أكثر الأخبار المكتوبة التي يخالف ظاهرها الواقع مخالفة لا جدال فيها.

وأكبر الظَّنِّ (والله أعلم) أن تلك التقسيمات اللونيّة التي ذكرها صاحب [المنهج القرآني...] **ليست إلّا أوهامًا**؛ لأنه استقاها من الجن، ولا نعلم مدى صدقهم معه فيما أخبروه به من تلك الألوان، **فالمسألة هذه مبنيّة في الهواء**، ولا تستند إلى عقل أو نقل صحيح أو حتى ضعيف، فهي مبالغات وتحكُّمات لا أصل لها، والمبالغة في الشيء تُعدُّ من المساوئ لا شكّ في ذلك، وقد أذكرتني تلك المبالغات العلاجية موقفًا شاهدته، فأضحكني كثيرًا، وهو أنني كنت جالسًا في أحد المساجد منتظرًا إقامة الصلاة، فلمحت عن كَثَبٍ أحد الجالسين، وقد امتدت يدُه لتخرج من جيبه سواكًا، فأخذ يمرّ به على أسنانه عرضًا وطولاً، ثم طولاً وعرضًا، وبقي على ذلك ما وَسِعَهُ البقاء، حتى ضِقتُ ذرعًا بمبالغته في ذلك، ولا أعلم كيف خطر في مُخيّلتي خاطر أضحكني، وهو أن شيئًا لئيمًا قد علق بأسنانه، فأراد أن ينتزعه منها بمسواكه هذا، أو أن ينتقم منه بأنْ يدهسه بتلك الدبّابة الخشبية؛ ولذلك أكثر من مرّات المرور، فما أنْ مرّ هذا الخاطر في مُخيّلتي، حتى ضحكت له كثيرًا، وقلت في نفسي:

لو أن مروره على أسنانه بهذا المسواك قد استمرّ أكثر من ذلك، لسمع إحدى أسنانه تصرخ فيه قائلة: اتق الله فينا، فما بنا من ضعف لا يقدر على

أن يتحمّل ما يفعله بنا هذا المسواك الخشبيّ، فما أن انتهيت من حديث النفس هذا حتى سمعت كلمة التوحيد، فأيقنت أن المُؤذّن قد انتهى من إقامة الصلاة، فقلت في نفسي ثانية: قبّح اللهُ المبالغةَ، فقد أضاعت منّي خيرًا كثيرًا!!

فابن القيم (رحمه الله) قد صرّح بجواز قتل الجنيّ المعتدي، إن أصرَّ على العُدوان، ولكنه لم يُبيّن لنا كيفية قتله، فلم يقل مثلًا: يُحرق بسورة كذا، أو بآية كذا، ولو قال بذلك لطُولب أيضًا بالدليل العقلي أو النقليّ الصحيح، وأما إخبار الجن فلا يُبنى عليه حكم، إلّا إذا وافق الواقع بصورة مطّردَة، وقد مضى بنا أنه لم يقع ذلك، فالمعالج يقول: إن الجني قد حُرق، ثمّ نراه يعود للمريض مرّة أخرى، كما أنه معلوم أن للجني ثلاث نقاط للاصطدام في مُخّ الإنسان كما قال بعضهم:

(أ) قاعدة المُخّ.

(ب) منطقة الضّفيرة الشمسيّة.

(ج) المركز المُهيمن على أعضاء التناسل.

فرُبّما سيطر الجنيّ على إحدى هذه النقاط، فجعل المريض يرى ما لا حقيقة له، فيُخبر به المعالج، فيصدقه فيما يقول؛ فكيف نعتمد في معرفة هذه الألوان التي ذكرها صاحب المنهج القرآني - على ما يراه المريض، والحالة كما ذكرنا(؟!) هذا إذا سلّمنا له بأن اللون يدلّ على ديانة الجنيّ، **ونحن من ذلك في شكّ**؛ لعدم اعتماده على دليل عقلي أو نقلي أيضًا.

وكيفما كان الأمر، فلقد كان من نتائج هذا الهُراء أنْ فتح على الناس بابًا عظيمًا من الشرّ، فنطقوا بما لا يثبته عقل أو نقل صحيح، ورجموا بالغيب كما فعل عُبّاد النجوم السيّارة، وتكلّموا بما لم يُحيطوا بعلمه، فصاروا بذلك من جملة الدّجالين، ومن أنصار الشياطين الكاذبين، ومن الذين قد صُرعوا في عقيدتهم، فادّعوا أنهم يُعالجون بتلك الأوهام مَنْ صُرع في بدنه، الأمرُ الذي

أذى بصورة أو بأُخرى إلى انتشار الصرع في جميع الأوساط انتشارًا مُفزعًا، بل صار ظاهرة ما أرى أكثرها إلّا وهمًا، والوهم[١] مرض نفسيّ خبيث، إذا تسلّط على الإنسان أدخله في دوّامة عميقة، لا يكاد يُفلت من سلطانها، وما أكثر الذي يسبحون في بحرٍ من تلك الأوهام، حتى يصل بهم الأمر، إلى أن يكون للوهم سلطان وتأثير على نفوسهم وأبدانهم[٢]، **وما أعجبُ له حقًّا** أن يكتب عالم تقريظًا[٣] لمثل هذه الأوهام، ويدّعي أنه قد راجع الكتاب كلّه، فوجده موافقًا للكتاب والسنة، ولكنْ لا عجبَ، فتقاريظ العلماء قد تباع بالماء، وما أكثر الذين يُحبّون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، وأن تلمع أسماؤهم في سماء التآليف، نسأل الله السلامة، وحُسن الختام!

۞ ۞ ۞

---

(١) المقصود بالوهم هنا: ما يقع في الذهن من الظنون والخواطر التي لا حقيقة لها، وجمعه: أوهام.
والوهم: الغلط والخطأ، وهو غير مقصود هنا. وانظر (المعجم الوجيز).

(٢) اعلم أن النفوس خُلقت مُطيعة للأوهام، فإذا أثّر الوهم على النفس، أثّرت النفس بدورها على البدن، ويدلُّ على ذلك التجارب التي أُجريَتْ على فريق من الرجال والنساء حيث أُخبروا بأنهم سيتناولون ماءً فيه مُخدِّر يُفقدهم الوعي مدّة معيَّنة، فلمّا شربوا غابوا جميعًا عن وعيهم، ولم يكن في الماء مُخدِّر، وما ذاك إلّا بفعل الوهم. وأذكر فيما أذكر رجلًا جاءني يشكو صداعا يُعاوده في أوقات معيّنة، ولم تنل منه العقاقير مع طول مداومة، فوضعت يدي على مكان الألم من رأسه، وحرّكت شفتي دون أن أتكلّم سرًّا أو جهرًا، وبعد دقائق قلت له في ثقة وثبات على سبيل الإيهام: لقد ذهب منك الصداع من غير رجعة. فقام وكأنّما نُشِطَ من عقال، وما ذاك إلّا بفعل الوهم، وفيما قلناه دليل على أن الوهم قد يُؤثّر على الأبدان، فتأمّل.

(٣) التقريظ: مَدْح الرجل حيًّا، وضدُّه التأبين، بيد أن التأبين قد جاء في مدح الرجل حيًّا أيضًا، غير أنه قليل لا يكاد يُعرف. وانظر [الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب] للبَطَلْيَوْسي - (٢/ ١١١) طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة. وفي المعجم الوجيز: قَرَّظَ الكتابَ: بيّن محاسنَهُ ومزاياه.

الفُرُوقُ

ليس من شكّ أن الله (جلت قدرته) قسّم العقول كما قسّم الأرزاق، فرَضِيَ كلٌّ منا بعقله، وعدّه أحسن العقول، ولم يرضَ بما قسمه الله له من الرزق، فمن السهولة أن تجد إنسانًا يشتكي مما هو فيه من ضيق في الرزق، وجهد في طلبه والبحث عنه، وهو مع ذلك يبحث عنه، ويجتهد في طلبه، ما وَسِعَهُ البحث والاجتهاد.

وأما العقل فعلى العكس من ذلك تمامًا، فلا تكاد تجد إنسانًا يشتكي بعقله، أو يصرّح بما هو فيه من نقص في العقل، واضطراب في التفكير، والويل كل الويل لمن يحاول أن يُنَبِّهَهُ إلى هذا النقص أو ذاك الاضطراب، ولو أنه فعل لوجد من السبّ والشتم ما لا يُحصى عددًا، فناقص العقل بذلك جامد في مكانه، لا يحاول أن يسموَ بعقله وتفكيره من أوحال التخلّف والجهل، إلى المستوى اللائق به باعتباره إنسانا مُفضّلاً، فليس غريبًا إذًا أنْ تختلط بعض المفاهيم عند بعض الناس، أو أنْ يختلف اثنان في مفهوم شيء واحد، ما دامت العقول والقدرات متفاوتة، ومن أجل ذلك كان هذا الفصل، لإظهار الفرق بين شيئين اختلط أمرهما ومفهومهما عند كثير من الناس.

(أ) [المعجزة والكهانة]:

اعلم أن الفرق بينهما هو أن المعجزة فعل خارق للعادة مقرون بالتحدّي سالم عن المعارضة يقوم مقام تصديق الله تعالى النبي بالقول. وأما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن، غالبًا ما تكون مسجوعة، ربما توافق، وربما تخالف، والنبي لا يكون قَطُّ إلّا كامل الخلق والخُلق، وأما الكاهن فيكون مختل العقل، ناقص الخلق، مزوّرًا، فإن ادّعى النبوّة بكهانته، فربما قابله بدعواها كاهن آخر، فلا يظهر الفرق بينهما ألبتة، بخلاف النبوّة، فإن

النبي إذا تحدّى بالمعجزة، وقابله مدّعٍ كاذب، لا يجوز أن يُظهر له معجزة مثل معجزة الصادق؛ لأن المعجزة تصديق الله للصادق، فكيف تكون تصديقًا للكاذب، والله تعالى لا يصدق الكاذب. والله أعلم(١).

(ب) [المعجزة والكرامة]:

بُداءة أقول: إن مذهب أهل السنة إثبات كرامات الأولياء، خلافًا للمعتزلة من أمثال الزمخشري(٢)، فقد أنكر كرامات الأولياء، على قاعدة مذهبه في الاعتزال.

وما جاز أن يكون معجزة لنبيّ - صحّ أن يكون كرامة لوليّ(٣)، والفرق

---

(١) انظر اليواقيت ص (١٦٢) من الجزء الأول، الطبعة الأخيرة.

(٢) الزمخشري: هو صاحب تفسير الكشّاف، وعنه يقول ابن خلدون في مُقدِّمته (٣٨٤): [الزمخشري] من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحِجَاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طُرق البلاغة، فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلّق باللسان والبلاغة. فإذا كان الناظر في تفسيره واقفًا مع ذلك على المذاهب السّنّيّة، مُحسنًا للحِجَاج عنها، فلا جَرَمَ أنه مأمون من غوائله، فلتُغتنم مطالعتُه؛ لغرابة فنونه في اللسان. اهـ بتصرف.

قلت: وقول ابن خلدون: «فلتُغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان» - فيه شهادة عظيمة للزمخشري، حيث وصف فيها مطالعة تفسيره بأنها غنيمة، ثم علّل ذلك بقوله: «لغرابة فنونه في اللسان»، فابن خلدون لا يرى بأسًا من مطالعة الكشّاف، ما دام المطالع له على علم بمذهب أهل السنة في طرق الحِجَاج، حيث يكون مأمونًا ممّا في الكشاف من عقائد فاسدة، وقوله هذا يُعضّد ما قلتُه في فصل [كتب الروحانيات] من أنه لا ضير من قراءتها، ما دام المطالع لها عالمًا بالحلال والحرام، ويستطيع أن يميّز الغث من السّمين. ولو كان الغث مما تُترك له الكتب لتُرك الكشاف. والله أعلم.

(٣) قد يَرد على هذا القول قولُه تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدًا إلّا من ارتضى من رسول﴾ فالمعنى المتبادر إلى الذهن من الآية هو أن الله سبحانه لا يظهر على غيبه إلّا الرسل؛ ليُستدلَّ على نبوّتهم بالآيات المُعجزات، وبأن يُخبروا بالغيب، فيُعلم بذلك أنهم قد خالفوا غير الأنبياء، وعليه فالإخبار بالغيب جاز أن يكون =

بينهما هو أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي سالم عن المعارضة، ولا يجوز للوليّ أن يدّعي خرق العادة مع التحديّ؛ إذ لو ادّعاه الوليّ لكفر من ساعته، ولا تنخرق له العادة حتى لا يلبِّس على الناس أمر دينهم، وهذا من رحمة الله على الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

قال القرطبي(١): «إن المعجزة شرطها دعوى النبوّة والتحدّي». اهـ.

(ج) [الوليّ والساحر]:

اعلم أن الفرق بين الوليّ والساحر من وجهين: أحدهما وهو المشهور إجماع المسلمين على أن السِّحْر لا يظهر إلّا على يد فاسق. والكرامة لا تظهر

= معجزة لنبيّ، ولا يصحّ - بنصّ الآية - أن يكون كرامة لوليّ، فكيف يُقال: ما جاز أن يكون معجزة لنبيّ - صحّ أن يكون كرامة لوليّ (؟!)

والجواب (والله أعلم): أنكم لو استدللتم بهذه الآية الكريمة على ما ذهبتم إليه من اختصاص الأنبياء بذلك، لوجب أن تكون الآية الكريمة لا تقبل تفسيرًا آخر؛ لأن الدليل إذا دخله الاحتمال سقط به الاستدلال، ويحتمل أن يكون الاستثناء الذي في هذه الآية منقطعًا، وهو الذي لا يكون فيه المستثنى من جنس المستثنى منه، ولا يُقصد إخراجُه من المستثنى منه، وكأنه قال: عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه المخصوص الذي هو يوم القيامة أحدًا، ثم استأنف كلامًا جديدًا فقال: لكن من ارتضى من رسول، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن؛ لأنه سبحانه إنّما ذكر هذا الكلام جوابًا لسؤال مَنْ سأله عن وقت وقوع القيامة على سبيل الاستهزاء به، والاستحقار لدينه ومقالته، ويُعضِّد ما قلناه أن جميع أرباب المِلَل والشرائع مُجمعون على صحّة علم التعبير، وأن المُعبر قد يُخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل ويكون صادقًا فيه، كما أنه قد ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن «شقا» و«سطيحا» كانا كاهنين يُخبران بظهور نبيّنا محمد ﷺ، وبذلك فقد ثبت أن الله تعالى قد يُطلع غير الرسل على شيء من الغيب بالقدر الذي يشاء، فإذا صح لنا ذلك فلا تَرِد الآية هذه على ما قلناه إلّا عند من جعل الاستثناء متصلًا، وهذا أحد وجهين تُحمل عليهما الآية الكريمة، وإن كان جَعْل الاستثناء متصلًا - بعيدًا عندي؛ لما ذكرته لك، فالخلاصة أن الغيب في هذه الآية وكذا الآية الخامسة والستون من سورة النمل - غيب خاصٌ؛ إذ ليس في الآيتين ما يدل على العموم؛ ولذا فقد حملناه على يوم القيامة، فتأمّل، ولا تكن أسير التقليد، والله الموفق.

(١) تفسير القرطبي (١/ ٤٣٧). ط دار الريان للتراث بالقاهرة.

إلّا على يد وليّ، ولا تظهر على يد فاسق، وبهذا جزم إمام الحرمين، وأبو سعيد المتولي، وغيرهما.. والثاني: أن السِّحْر يكون ناشئًا بفعل ومزج ومعاناة وعلاج. والكرامة لا تفتقر إلى شيء من ذلك، وفي كثير من الأوقات يقع ذلك اتفاقًا من غير أن يستدعيه أو يشعر به. والله تعالى أعلم(١).

ومهما يكن من شيء، فالثابت في الفكر الإسلاميّ أن **الإيمان والتقوى هما أساس الوِلاية**، وصاحبهما وليّ، سواءٌ أكان خارقًا للعادة، أم غير خارقٍ لها؛ وأن خوارق العادات تقع للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، فلا دلالة (مثلّث الدال) لها على رفعة ولا على قرب. فلو أن رجلًا سار على الماء دون أن تبتلّ قدماه، ما دلّ ذلك على صلاحه؛ لأن مناط الصلاح بما شرعه الله من عمل وإيمان فحسب، **فلا ارتباط لتلك الخوارق بأصل الإيمان والتكليف**(٢).

وأمّا ما أجمع عليه المسلمون من أنّ السِّحْر لا يظهر إلّا على يد فاسق، والكرامة لا تظهر إلّا على يد وليّ، فنحن نسلّم به، ولكن كيف نعرف أن هذا فاسق أو صالح، حتّى نحكم على فعله الخارق للعادة بأنه كرامة أو سِحْر(؟!) خصوصًا أن كثيرًا من الفُسّاق يرتدون ثياب الأولياء، **فتلك مسألة لا ضابط لها**، ومن الصعب معرفتها، بدليل أننا نحكم على الإنسان بظاهر عمله، وأما الباطن فالله عالم به.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ١٧٥، ١٧٦)، وانظر أيضًا: حياة الحيوان الكبرى، للدميري - ط الخامسة (٢/ ٢٦٠)، مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة.

(٢) وانظر فقه السيرة لمحمد الغزالي - ط الثانية - ص (٥٦، ٥٩) الهامش (٤٥) من الصفحة الأولى، والصُّلب من الصفحة الثانية تحقيق الألباني. وجديرٌ بالذكر هنا أن الشيخ محمدًا الغزالي ممن أنكروا المسّ، وسخروا ممن يقول بوقوعه، وهي سقطة من سقطاته التي يريد من ورائها موافقة العالَم الذي يحترم التجربة، ويتّبع البرهان، وهذه المسألة ما دامتْ لا تخضع للتجربة ولا للبرهان - عنده - فهو قد أنكرها. وانظر: محمد الغزالي: السنة النبوية ص (٩٢). و «هموم داعية» ص(٤).

وأمّا كون الولاية لا تفتقر إلى مزج ومعاناة فهذا صحيح جدًا، لا نشك فيه قِيد أُنملةٍ، كما لا نشك أن الكرامة تقع اتفاقًا من غير استدعاء لها في كثير من الأوقات. هذا والله أعلم.

(د) [السحر والشعبذة]:

كثير من الناس يخلط بين السحر والشعبذة، فيطلق على الشعبذة سحرًا، والعكس، وليس الأمر كذلك، فالشعبذة أبعد ما تكون عن السحر، ولتوضيح ذلك أقول: الشعبذة منسوبة إلى رجل اسمه شعبان، وهو مُعرّب، وأصله خِفّةُ اليدين في تقليب الأشياء بمهارة، فتنخدع الحواسّ في رؤيتها، فيظهر أمامها الشيء على غير ما هو عليه في الحقيقة. وصاحب هذا الفعل يُسمّى مشعوذًا.

والفعل شَعْوَذَ، أي أنه مهر في الاحتيال، وأظهر الشيء على غير ما عليه كان، معتمدًا في ذلك على خداع الحواس، بما يقوم به من سرعة مدهشة في تقليب الأشياء.

ومن هنا يظهر الفرق واضحًا بين المشعوذ صاحب اليد الخفيفة، وبين الساحر الذي يستعين بأرواح شرّيرة كافرة؛ لتحقيق بعض أغراضه، بعد أن يدفع لتلك الأرواح الشريرة الكافرة دينه وشرفه ثمنًا لذلك، وبعد أن يقوم بطقوسه الكفريّة الغامضة التي يأمره بها أسياده[1] من شياطين الجن، شريطةَ أن يُوقِعَها في أوقات معينةٍ، وأماكنَ مخصوصةٍ.

أما الأماكن فغالبًا ما تكون بعيدة عن العُمران، حتى لا يُسمع فيها الأذان الشرعي، ممّا يكون سببًا في مضايقة الشياطين، كما يُستحب عندهم أن تكون الأماكن نجسة، فيها ما يُرضي الشياطين من صور، وحيوانات محنطة، ومخالفات شرعية، وروائح خبيثة كرائحة الحلتيت[2] وما شابهه من الأبخرة

(١) انظر ص (٦٠) الهامش رقم (١).

(٢) الحلتيت: صمغ راتنجيّ، وهو المعروف بأبي كبير، ويُستعمل في الطب. (المعجم الوجيز). قلت: ولعله هو المقصود هنا، المهم أنه إذا حُرق فاحت منه رائحة خبيثة جدًا.

ذات الروائح الخبيثة.

وأمّا الأوقات فيتم تعيينها بمنازل القمر الثمانية والعشرين، أو بمنازل الشمس، أو يقوم بها في أيام معيّنة من الشهر العربي، فإذا كان العمل للمحبّة أو لتهاييج النساء، فغالبًا ما يكون في النصف الأول من الشهر العربي، كما تُصرّح بذلك بعض كتبهم، وإذا كان العمل لقتل أو لإيقاع النزيف لامرأة ما، أو لرجل ما، أو للتفريق بين زوجين، فغالبًا ما يكون في النصف الثاني من الشهر العربيّ، وهم يُخصّصون يوم الأربعاء الأخير من كل شهر عربيّ لأشدّ أعمال الشرّ، فعجبت فترة من الزمن لشأن هذا اليوم عندهم، حتى أوقفني الله تعالى على تفسير قوله تعالى: ﴿في يوم نحسٍ مستمر﴾ فرأيت ما أدهشني من القول بخصوص هذا اليوم، فاسمع إلى الجلالين يقول: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ شؤم مستمر، أي: دائم الشؤم أو قويّهُ، وكان الأربعاء آخر الشهر[(١)]. اهـ.

وقال الزّجاج في معانيه[(٢)]: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ يعني نحس مشئوم، مستمر، أي: دائم الشؤم. وقيل: في يوم أربعاء في آخر الشهر لا يدور. اهـ.

وقال القزويني[(٣)]: يوم الأربعاء يوم قليل الخير. والأربعاء الأخير من الشهر يوم نحس مستمر، يُحمَدُ فيه الاستحمام. اهـ. وبمثله قال الشريف محمود باشا العسكري[(٤)].

---

(١) تفسير الجلالين، سورة القمر آية (١٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج - ط الأولى (٥/٨٩) مكتبة دار الحديث بالقاهرة.

(٣) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، للقزويني - ط الخامسة ص (٥٠) مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة.

(٤) المُنتخب النفيس من علم نبيّ الله إدريس - ط الثانية (١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م) ص (١٤٢) - مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة. وهذا الكتاب مفترى على نبي الله إدريس (عليه السلام) ولكني ذكرت هذا منه استئناسًا ليس غير.

وقال القرطبي[1]: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾؛ أي: في يوم كان مشئومًا عليهم.

وقال ابن عبّاس: كان آخر أربعاء في الشهر، أفنى صغيرهم وكبيرهم. فإن قيل: فإذا كان يوم الأربعاء يوم نحس مستمر، فكيف يستجابُ فيه الدعاء؟ وقد جاء أن النبي ﷺ استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر. فالجواب - (والله أعلم) ما جاء في خبر يرويه مسروق عن النبي ﷺ أنه قال: «**أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد**»، وقال: «**يوم الأربعاء يوم نحس مستمر**».

ومعلومٌ أنه لم يرد بذلك أنه نحس على الصالحين، بل أراد أنه نحس على الفجّار والمفسدين [. . .[2]] وإذا كان كذلك لم يبعد أن يمهل الظالم من أوّل يوم الأربعاء إلى أن تزول الشمس، فإذا أدبر النهار، ولم يحدث رجعة، استجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحسًا على الظالم، ودعاء النبيّ (عليه السلام) إنما كان على الكفار، وقول جابر في حديثه: لم ينزل به أمر غليظ - إشارة إلى هذا، والله أعلم. اهـ.

ومن الأيام التي يحتفي بها السحرة، وينتظرونها - الأيام النحسات وعنها يقول القزويني[3]: وفي الخامس والعشرين من شهر شوّال إلى آخر الشهر هي الأيام النحسات، أهلك الله تعالى فيها عادًا. وقيل: إنها أيام العجوز[4] التي كانت تنوح عليهم كل سنة. اهـ.

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٨٨/ ١٧) والتي بعدها - ط دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.

(٢) نص محذوف للاختصار.

(٣) عجائب المخلوقات - ص (٥٠).

(٤) انظر المُزهر للسيوطي - ط الثالثة (١/ ٣٠٤)، حيث أورد كلامًا عن أيّام العجوز. وفي المعجم الوجيز: أيام العجوز، عند العرب: سبعة أيام تأخذ في عجُز الشتاء، يشتدُّ فيها البرد، لكل منها اسم خاصّ، وهى توافق أربعة من آخر فبراير «شباط»، وثلاثة من أوّل مارس «آذار». وانظر أسماءها في مختار الصحاح مادة (ع ج ز).

قال القرطبي[١]: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾[٢]، أي: مشئومات: قال مجاهد وقتادة: كُنّ آخر شوّال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء، وذلك ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[٣] قال ابن عباس: ما عُذِّب قومٌ إلّا في يوم الأربعاء. اهـ.

قلت: فكل هذه النقول تدلُّ على أن السحرة لم يحتفوا بهذه الأيام من فراغ، وإنما هم قد أدركوا ما فيها من نحوسة، إما عن طريق حساباتهم الفلكيّة، وإما عن طريق النصوص التي سقناها آنفًا.

ومهما يكن من أمر، فالسحر فيه عبادة للشياطين، وخضوع وخشوع لهم، وأما الشعبذة، فما هي إلّا خفّة في اليدين، ولا يكون فيها اتصال بالشياطين، وإنما يُقصد بها اللهو واللعب، وتفريج الناس على خفّة اليد في تقليب الأشياء، وقدْ كرِه ذلك بعض العلماء، والله أعلم.

ومن العجيب أن يقع الإمام القرطبي في هذا الخلط بين السحر والشعبذة، فيجعل الشعبذة نوعًا من السحر، فاسمع إليه يقول:

«ثم من السحر ما يكون بخفّة اليد كالشعوذة. قال ابن فارس في المجمل: الشعوذة ليست من كلام أهل البادية، وهي خفّة في اليدين، وأُخذة كالسحر»[٤]. اهـ.

قلت: إن كان الإمام القرطبي يقصد السحر اللُّغوي فإنا نُسلّم له، وإن كان يقصد السحر الاصطلاحي الذي فيه عبادة للشياطين؛ واستعانة بهم بطريقة غير

---

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٢٢٧/ ١٥).

(٢) فصلت الآية (١٦).

(٣) الحاقة الآية (٧).

(٤) وانظر تفسير القرطبي (١/ ٤٣٤) والتي بعدها - دار الرّيان للتراث بالقاهرة. تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾.

شرعية، فهو قد خلط في تلك المسألة، كما خلط فيها غيره من الناس، وليس في كلام ابن فارس دليل له على ذلك، والله أعلم.

وجديرٌ بالذكر أن أقول: إنّ الدجل ما هو إلّا شعوذة أيضًا، إذ ليس هو من السحر من قريب أو بعيد، وإنْ كان له أُخذة كالسحر، على حدّ تعبير ابن فارس، فالشعوذة والدجل يصبّان في معين واحد، هو التمويه وخداع البصر، فمِن الخلط إذًا أنْ ندخلهما في السحر، ومن هنا نعرف خطأ صاحب حاشية [فتح المجيد] في قوله السابق(١):

«وهذا هو الدجل والكذب، وهو نوع من السحر، واستخدام الشياطين، والقول على الله بلا علم».

فهو قد أتى بعلم الفلك الشركيّ المذموم؛ لما فيه من ادّعاء الغيب الذي لا يعلمه إلّا الله، ثم قال عنه: إنه دجَل، وهذا خطأ كما عرفنا، ثم قال عن الدجَل: إنه نوع من السحر، واستخدام الشياطين، والقول على الله بلا علم، وهذا هو الخطأ الثاني؛ إذْ ليس في الدجَل استخدام للشياطين، والقول على الله بلا علم. هذا والله أعلم.

۞ ۞ ۞

(١) انظر فصل [من أنواع السحر عند العلماء]، عند الكلام عن علم النجوم.

خرافات العوام وأسمار النسوة[١]

قال القزويني فيما نقله عنه صاحب [اليواقيت والجواهر. . .]:

«قد اختلف الناس في السحر وأثره، فقيل: إنه يمكن به تبديل الصورة، فيقلب الإنسان كلبًا أو تمساحًا أو حمارًا، والظاهر أن أمثال هذه خرافات العوام وأسمار النسوة»[٢]. اهـ.

قلت: والحافظ ابن حجر، والشيخ حافظ (رحمة الله عليهما) يريان أنْ لا مانع من أن يقلب السحر حقيقة الشيء، بالنظر إلى القدرة الإلهيّة[٣]، وعليه فما يقوله العوام والنسوة هنا قد يكون صحيحًا باعتبار ما قلناه من أن قلب الحقيقة متعلق بقدرة الله (جلّ في علاه)، ولقد حدثني من أثق به من الشيوخ، ممّن سافروا إلى الهند والسودان وغيرها من البلدان التي اشتهر أغلب أهلها بالسحر، أنه كان له صاحب أحبّته ساحرة برعت في فنون السحر، فمن

---

(١) الأسمار جمع سَمَر، وهو الحديث بالليل خاصّة. وبين الأسمار والخرافات مناسبة، توضيحها كالتالي: خرافةُ اسم رجل من عُذْرَةَ، (حيٌّ من أحياء الأعراب أبناء البوادي يُنسب إليه الحب العُذريّ) استهوته الجن فكان يُحدِّث بما رأى فكذّبوه، وقالوا: حديث خُرافة (منعتُه الصرف للعلمية والتأنيث اللفظي)؛ ولذا فقد قالوا في كل حديث لا يُصدَّق خرافة، وهي واحدة الخرافات الموضوعة من حديث الليل، ولهذا قلنا: إن بينه وبين الأسمار مناسبةً، وهي أن كلًّا منهما يكون ليلاً. ومن هذا التوضيح أيضًا نفهم أن الخرافة قد تكون صدقًا، غير أنها مما يُستغرَب، ولهذا فقد يعاب على القزويني هذا التعبير، حيث إنه ساقه ليدل به على أن أمثال هذا لا يقع، وقد علمنا أن الخرافة قد تكون صدقا، وكذا أسمار النسوة، وعليه فهو قد أتى من الألفاظ بما لا يُناسب مُرادَهُ.

(٢) اليواقيت والجواهر، للشعراني - ط الأخيرة - ص (١٦١) من الجزء الأول.

(٣) وانظر نص كلامهما في هذه المسألة، فصل [حول تعريف السحر].

شدّة حُبّها لصاحبه هذا سحرته، فكان إذا دخل عندها صار رجلًا، وإذا خرج من عندها صار كلبًا، فلمّا كشفوا أمرها أبلغو عنها، وتم القبض عليها بعد أن حلّت صاحبهم من براثن سحرها اللعين، والحق يقال إنني لم أصدق تلك القصة في الوقت الذي حُكيت لي فيه، إلى أن أوقفني الله على كلام ابن حجر والشيخ حافظ، فأيقنت أنْ لا غرابة في ذلك ما دام أنه بالنظر إلى قدرة الله، فنعوذ بالله من السحر وأهله.

قال القرطبي: من السحر ما يكون كفرًا من فاعله، مثل ما يدّعون من تغيير صور الناس، وإخراجهم في هيئة بهيمة، وقطع مسافة شهر في ليلة، والطيران في الهواء فكل من فعل هذا؛ ليُوهم الناس أنه مُحقٌّ فذلك كفر منه[١]. اهـ.

قلت: وقوله: «ليُوهم الناس أنه مُحقٌّ...» أي: لو فعله مُدّعيًا النبوّة والتحدّي فقد كفر بفعله مع الادّعاء والتحدّي.

وقوله: «مثل ما يدّعون» يشبه الإنكار، فكأنّي به لا يصدّق ذلك، فعبّر بلفظ الادّعاء، والملاحظ أن الإمام القرطبي لم يحكم بالكفر على فاعل هذا دون قيد، وإنما قيده بادّعاء النبوة والتحدّي بهذ الفعل. وإنما لم يحكم على الفعل بالكفر دون قيد؛ لأنه لا يعرف كيف يتمّ ذلك، فكيف يحكم على شيء مجهول بالنسبة له، بدليل قوله: «مثل ما يدّعون».

ومهما يكن من شيء، فوقوع مثل هذا التغيير نادر جدًا، وتلك النُدرة هي السبب الرئيس في إنكاره أو استبعاد وقوعه، كما أن السحر باعتباره علمًا من العلوم - قد كُسرت حِدّته؛ لجهل القائمين به بطرقه وفنونه وحساباته، فالسحرة القدماء كانوا يعبدون ويتقربون إلى أكابر الشياطين، ليسيطروا بتقرُّبهم

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٤٣٥) - ط دار الريان للتراث بالقاهرة، تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾.

هذا على صغار الشياطين، فَيُطيعونهم في فعل ما يُستغرَب، وأما سحرة اليوم فيرضَوْن من الشياطين باليسير، مع أنهم يدفعون نفس الثمن الذي كان القدماء من السحرة يدفعونه للشياطين، هذا الثمن هو الكفر(١)، وفعلهم هذا يدل على خِسّتهم، وعدم استعظام الدين في قلوبهم. هذا والله أعلم.

فائدة: اعلم أن الذي هو خرافة من خرافات العوام حقًّا -ما يقوله بعضُهم، من أنه قد ظهر له عِفريت في صورة كلب أو قط، وكلّمه وقال له: كذا وكذا، وهذه خرافة وكذب؛ لأن الجن لا تقدر على أن تتكلم بكلام البشر، وهي في غير الصورة الإنسانيّة إلّا معجزةً لنبي أو كرامة لوليّ، وإنما قد يتفاهم الجني وهو على صورة الحيوان بإشارة مثلاً، كما يفعل الصم والبكم، والله أعلم.

۞ ۞ ۞

---

(١) من صور كفرهم البواح أنْ يكتبوا آيات القرآن على أماكن العِفَّة من النساء، وذلك بعد أنْ يُواقعوهنَّ، ويُطلقون على آيات القرآن طلَّسْمًا تضليلاً للساحر، ومن عجيب أمرهم أنهم لا يُصرّحون باسم المرأة ولا بمكان عِفّتها، وإنّما يرمُزون إليها بألفاظٍ معينةٍ، فالمرأة عندهم «فرسة»، ومكان العِفَّة منها «فُرْن»، وما يعلو مكان العِفّة من المرأة يُسمّى عندهم «قُبّة»، فاسمع إلى أحدهم يقول في كتابه: (جلب سريع) تركب الفرسة (وهذا زنًا) وتكتب الطّلسْم على القُبّة (وهذا كفر صريح؛ لأن الطّلسْم الذي يقصده هو قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾، ولكنهم يكتبونها هكذا:



ويسمونها طَلسمًا) ثم اتلُ كذا (طبعًا للتعظيم فأسماء الشياطين تُعظَم، وكلام الله يكتب على... نعوذ بالله من الخزي).

شياطين الكلاب

الكلب حيوان معروف، والجمع أكلب وكلاب وكليب، مثل: أعبد وعباد وعبيد. والأكالب جمع أكلب، قال ابن سيده: وقد قالوا في جمع كلب: كلابات.

قال الشاعر:

أحب كلب في كلابات الناس إليّ نهجًا كلب أمّ عبّاس

والكلب حيوان شديد الرياضة، كثير الوفاء، وهو لا سبع ولا بهيمة، إذْ لو تمّت له طِباع السّباع لمَا ألِفَ الناس، ولو تمّت له طِباع البهائم لمَا أكل لحم الحيوان، غير أنه قد ورد في حديث صحيح عند مسلم إطلاق البهيمة عليه.

روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «**بينما امرأة تمشي بفلاةٍ من الأرض اشتدّ عليها العطش، فنزلت بئرًا، فشربت منه، ثم صعدت، فوجدت كلبًا يأكل الثرى من العطش، فقالت: لقد بلغ بهذا الكلب مثلُ الذي بلغ بي، فنزلت البئر، فملأت خُفَّها، وأمسكتْهُ بفيها، ثم صعدت فسقتْهُ، فشكر الله لها ذلك، وغفر لها**». قالوا: يا رسول الله، أوَلنا في البهائم أجر؟ قال: «**نعم، في كل كبد رطبة أجر**». الشاهد قولهم: أوَلنا في البهائم؛ حيث جعلوا الكلب من جُملة البهائم، علمًا بأنه يُخالفها فيأكل لحم الحيوان.

ومن طبعه أنه يحرس ربَّه، ويحمي حرمه شاهدًا وغائبًا، ذاكرًا أو غافلاً، نائمًا ويقظان، وهو أيقظ الحيوان عينًا في وقت حاجته إلى النوم، وإنما غالب نومه نهارًا، عند الاستغناء عن الحراسة، وهو في نومه أسمع من فرس، وأحذر من عقعق[١]. ومن عجيب طِباعه أنه يُكرم أهل الوجاهة من الناس،

---

(١) العقعق: طائر من الفصيلة الغُرابيّة، ورُتبةِ الجواثم. وهو صخّاب، له ذنَب طويل، ومِنقار طويل، والعرب تتشاءم به، ومن طبعه الحذر الشديد؛ ولذا يُقال لمن اشتدّ حذره: أحذرُ من عقعق. وانظر (المعجم الوجيز).

ولا ينبح أحدًا منهم، وربما حاد عن طريقهم، وإنما ينبح الأسودَ من الناس، والدنِسَ الثيابِ، والضعيفَ الحال، ومن ظهرت عليه أمارات الخوف، وتلك الأنواع من الناس كثيرًا ما يكون منها اللصوص، فسبحان مَنْ ألهمه ذلك!

ومن طباعه أيضًا التودُّد والتآلف بحيث إذا دُعي بعد الضرب والطرد رجع، وإذا رأى ربَّه مُقبلًا وكان نائمًا استيقظ ووقف له احترامًا، وإذا لاعبَهُ ربُّه عضَّه العضَّ الذي لا يُؤلم، علمًا بأن أضراسه لو أنشبها في الحجر لَنشبتْ، وهو يقبل التأديب والتلقين والتعليم، وكلابُ الشرطة خير شاهد على هذا.

ويُصاب الكلبُ بمرض يُسمّى الكلَب (بفتح اللام)، وهو داء يُشبه الجنون، وعلامة ذلك أن تحمرّ عيناه، وتعلوَهما غشاوة، وتسترخي أُذناه، ويندلع لسانه، ويكثر لُعابه وسيلانُ أنفه، ويُطأطئ رأسه، وينحرب ظهره، ويتعوَّج صُلبه إلى جانب، ولا يزال يُدخل ذنَبه بين رجليه، ويمشي خائفًا مغمومًا، كأنه سكران، ويجوع فلا يأكل، ويعطش فلا يشرب، وربما أصابه فزعٌ عند رؤيته للماء، بل ربما مات خوفًا من رؤيته، وإذا لاح له شبح من بعيد أقبل عليه من غير نُباح، والكلاب تهرب منه وهو على تلك الحال، فإن دنا منها غفلة، بصبصت[1] له وخضعت وخشعت بين يديه. فإذا عقر هذا الكلب إنسانًا أصابه بأمراض رديئة جدًّا، منها أن يمتنع الإنسان من شرب الماء حتى يهلِك عطشًا، فإذا استحكمت منه هذه العلّة، فقعد للبول خرج من دُبره شيء على هيئة الكلاب الصغار[2].

وكما أن من الإنس والجن شياطين فكذلك الكلاب؛ فقد روَى مسلم في

---

(١) بصبص الكلبُ: حرّك ذَنبَهُ، طمعًا أو توددًا أو تضرُّعًا.

(٢) وانظر حياة الحيوان الكبرى - حرف الحاء (الكلب) (٢/ ٢٥٠) وما بعدها - ط الخامسة.

صحيحه[١] عن أبي ذرّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قام أحدكم يُصلّي، فإنه يستره إذا كان بين يديه مِثلُ آخرة الرَّحْل، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرَّحل، فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود»**. قلت: يا أبا ذر، ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر؟ قال: يابن أخي، سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: **«الكلب الأسود شيطان»**. اهـ.

قال ابن تيمية (رحمه الله): «الكلب الأسود شيطان الكلاب، والجن تتصور بصورته كثيرًا، وكذلك بصورة القطّ الأسود؛ لأن السواد أجمع للقُوى الشيطانيّة من غيره، وفيه قُوّة الحرارة»[٢]. اهـ.

ولذلك قال ﷺ: **«اقتلوا منها كلَّ أسود بهيم»**. وقيل: لمّا كان الكلب الأسود أشدَّ ضررًا من غيره، وأشدَّ ترويعًا، كان المصلّي إذا رآه اشتغل عن صلاته فانقطعت عليه لذلك؛ ولذلك تأوّل الجمهور قوله ﷺ: **«يقطع الصلاة المرأة والحمار»** بأن ذلك مبالغة في الخوف على قطعها وإفسادها من الشغل بهذه المذكورات، وذلك لأن المرأة تفتن، والحمار ينهق، والكلب الأسود يروّع ويُشوّش الفكر، فلمّا كانت هذه الأمور آيلة إلى القطع جعلها قاطعة.

وذهب ابن عباس وعطاء ﷺ إلى أنّ المرأة التي تقطع الصلاة، إنما هي الحائض؛ لما تستصحبه من النجاسة. واحتجّ أحمد (رحمه الله) بحديث الكلب الأسود على أنه لا يجوز صيده، ولا يحل؛ لأنه شيطان، واختاره أبو بكر الصَّيرافي. وقال الشافعي، ومالك وأبو حنيفة، وجماهير العلماء (رحمة الله تعالى عليهم): يحل صيده كغيره، وليس المرادُ بالحديث إخراجَهُ عن جنس الكلاب؛ ولهذا إذا ولغ في إناء وغيره، وجب غسله وتعفيره كولوغ الكلب الأبيض[٣].

---

(١) مسلم (٤/ ٢٢٦) شرح النووي، والنسائي (٢/ ٦٤)، وابن ماجه (١/ ٣٠٦)، والدارميّ (١/ ٣٢٩).

(٢) رسالة الجن، لابن تيمية - ص (٤١).

(٣) وانظر اليواقيت والجواهر للشعراني - ص (١٣٨) - الجزء الأول، مكتبة البابي الحلبي بالقاهرة.

تطاولٌ وردٌّ:

سجَّلْنا فيما سبق أن من الجن والإنس والكلاب شياطين، ولكنْ يبدو أن هذه المسألة لم ترُقْ لأحد مفكري الإسلام في العصر الحديث فقال: «والذي رفضتُه أن يتصدَّى أحد أولئك المبطلين لعلم الأحياء ويهاجم مقرراته؛ ليقول: إن الكلب شيطان وليس كلبًا كبقية بني جنسه»(١).

ونستغفر الله العليَّ القدير من هذا التطاول على الرسول في شخص أحد أتباعه من أمّته. ولعلّ الشيخ يُنكر أيضًا الآية التي تقول:

﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

لأنها تهاجم مقررات علم الأحياء، وتقول: إن من الإنس شياطين!!!

وكأنَّ الشيخ قد اعتاد على أن يُنكر بعض أحاديث الصحيحين، فهو يُنكر حديث الذبابة وينكر حديث «الكلب الأسود شيطان» والأول في البخاري، والثاني في مسلم، فهل هي حملةٌ من الشيخ على الصحيحين إرضاءً لعلم الأحياء، وإغضابًا لرب الأرض والسماء(؟!).

الجواب: لا، ليستْ حملة، وإنّما هو مُخرَجٌ أمام القوانين العالمية، وأمام علم الأحياء ومقرراته، ولذلك فهو يُصرُّ على رفض هذين الحديثين السابقين وإنكارهما، كما أصرَّ على قبول شهادة المرأة في الحدود والقصاص.

فسبحان الله! ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٢) ولو فهم الحديث كما فهمه جُلُّ العلماء لقال مثلهم: وليس المرادُ بالحديث إخراجَهُ - أي الكلب - عن جنس الكلاب... إلخ، ولما تطاول على النبي وأتباعه ولكنْ لا عليه فهو يحترم علم الأحياء ومُقرراته: كما يحترم القوانين العالمية (أي: الوضعية، ولكنْ هكذا أراد أن يُعبر).

---

(١) انظر: هموم داعية لمحمد الغزالي ص (٢٢).

(٢) المائدة الآية الخمسون منها.

ولعل كلامي هذا يغضب بعض مُحبِّي الشيخ أو كلِّهم، ولا أجد ما أقوله لهم حينئذ إلّا ما قاله غيري من المُنصفين: «إذا كان الغزالي عزيزًا فالحق أعزُّ منه»(١).

۞ ۞ ۞

(١) وانظر: حوار هادئ مع محمد الغزالي، لسلمان بن فهد العودة ص (٤٠) نشر دار الهجرة بالمملكة العربية السعودية، وإن كان الكتاب كله جديرًا بالقراءة والتأمُّل. الطبعة الثالثة منه بتاريخ المحرم ١٤١٠هـ.

حول إمكانية إسلام الشيطان

وحول إمكانية إسلام الشيطان يقول الدميري في كتابه[١]:

«روى مسلم عن سالم بن عبد الله بن أبي الجعد - وليس له في الكتب الستة سواه - عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«ما منكم من أحد إلّا وقد وكل به قرينه من الجن»** قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: **«وإيّاي، إلّا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلّا بخير»**.

رُوي: فأسلم بفتح الميم وضمّها، وصحّح الخطّابي الرفع، ورجح القاضي عبّاس والنووي الفتح، وهو المختار». اهـ.

وأكبر الظنّ أن ورود الحديث في بعض طرقه بزيادة **«فلا يأمرني إلّا بخير»** هو الذي حمل هذين العالمين الجليلين على ترجيح رواية النصب، كما أنَّ هذه الزيادة في أكبر الظن أيضًا هي التي جعلت الإمام الدميري يقول: وهو المختار.

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه، وهو هل لأحد أن يُؤثّر على قرينه الملازم له من الجن فيُسلم. كما أثّر النبي ﷺ على قرينه بإعانة الله له، فجعله يُسلم؟ فيه قولان:

أحدهما: أن ذلك جائز، ما دام هذا الشيطان ليس هو إبليس اللعين، فهو وحده الذي لا يجوز في حقّه أن يُسلم، فقد أنظره الله تعالى إلى يوم يبعثون، فلا يصحّ منه أن يُسلم أبدًا، لأنه لو جاز منه ذلك، لتعطّلت بعض حضرات الأسماء الإلهية، وما عُصِيَ الله، فإنه لا يصحّ في الوجود كلّه معصية من أحد إلّا بواسطته إما بنفسه، وإما بأعوانه، والله أعلم.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٢٩٢) - حرف الجيم (الجن).

وثانيهما: أن ذلك غير جائز؛ لأن الخبر ظاهرهُ اختصاص رسول الله ﷺ بذلك، ولا دليل لمن ادّعى العموم[1]. اهـ بتصرف.

قلت: وفي قلبي من القول الثاني شيء، ففيه حَجْرٌ على رحمة الله التي وسعت كل شيء، ومعلومٌ أن باب التوبة مفتوح حتى تَطْلُعَ الشمس من مغربها، وأما كون المعصية متوقفة على إغواء إبليس أو غيره من الشياطين فهذا ما لا دليل عليه فيما أعلم.

لكنْ هناك حديث أخرجه البيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«فُضِّلتُ على آدم بِخَصْلَتَيْنِ[2]: كان شيطاني كافرًا، فأعانني الله عليه حتى أسلم، وكن أزواجي عونًا لي، وكان شيطان آدم كافرًا، وزوجته عونًا على خطيئته»**.

فلو صحَّ هذا الحديث عن النبي ﷺ، لكان الاختصاص ظاهرًا جليًا، والله أعلم.

۞ ۞ ۞

(١) وانظر اليواقيت والجواهر، للشعراني (ص - ١٣٨) الجزء الأول.

(٢) الخَصْلة: خُلُقٌ في الإنسان، يكون فضيلة أو رذيلة (ج) خِصال. (المعجم الوجيز).

انتشار الشياطين وتصفيدهم

شياطين الجن والإنس منتشرة في كل مكان وزمان، ولكن لله في أيّام دهره نَفَحات، لها بريق الإيمان، وعطره الشذيّ، والشياطين لا تُحِبُّ الروائح الطيّبة الذكيّة بطبيعتها؛ ولذا فهي تختفي في تلك الأيام، هُروبًا من روائحها الإيمانيّة الطيّبة، إلى أن تنكسر حدّة هذه الروائح الطيّبة أو تقلّ، فترجع مرّة ثانية، وسنعرض في هذا الفصل ما قالته الأحاديث النبوية عن انتشارهم وتصفيدهم.

قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه[1]: **«لا تُرسلوا فواشيكم[2] وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء، فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس، حتى تذهب فحمة العشاء»**.

والفَحْمَةُ من الليل أوَّله، أو أشدُّ سواده، أو ما بين غروب الشمس إلى نوم الناس، خاص بالصيف، ويجمع على فحام وفحوم.

قال ابن الجوزي فيما رواه عنه الحافظ في الفتح[3]:

والحكمة في انتشارهم حينئذٍ أن حركتهم في الليل أمكنُ لهم منها في النهار؛ لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية من غيره، وكذلك كل سواد؛ ولهذا قال في حديث أبي ذرّ: **«الكلب الأسود شيطان»**. اهـ.

---

(١) مسلم (١٣/ ١٨٦) بشرح النووي.

(٢) الفَوَاشِي: كلُّ شيءٍ مُنتَشر من المال، كالغنم السائمة والإبل وغيرها. (مختار الصحاح).

والمفرد: فاشية، وسُمِّيت بذلك لأنها تفشو: أي: تنتشر.

(٣) فتح الباري (٦/ ٣٤٢).

هذا عن انتشارهم، وأما عن تصفيدهم، فقد جاء في حديث اتّفق على صحّته البخاري ومسلم، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جاء رمضان، فُتّحت أبواب الرحمة، وغلّقت أبواب النار، وصُفّدت الشياطين**».

فإذا قيل: المعاصي التي تحدث في رمضان - كيف تحدث من الإنسان، وقد نرى المجنون يُصرع في رمضان أيضًا؟

فالجواب: أن المردة من الشياطين هم الذين يُصفّدون دون سائرهم، عِلْمًا بأن تصفيدهم ما هو إلّا حَدٌّ لحَرَكة الشرِّ والفساد التي يُحدثونها، وعليه فوقوعُ الفساد منهم واردٌ وهم مصفّدون، ولكنّه قليل جدًّا. والله أعلم.

وقيل: لأن الإنسان يكون عنده آثار وسوسته السابقة، والنفس أمّارة بالسوء، كما جاء في القرآن الكريم على لسان امرأة العزيز، غير أنها أكّدتْ. ونحن لا نؤكد؛ لأن نصًّا من القرآن لم يجزم بهذا، وإنما هو من كلامها.

والحق أن الحديث مُشْكِلٌ[١] في معناه؛ لأننا قد نرى المجنون يُصرع في رمضان وينطق عليه الجن، وقد يكون الذي في جسده ماردًا من مردة الجن، ولكننا نُجري الحديثَ على ظاهره كما أجراه الإمام أحمد (رحمه الله) وقال لابنه حينما سأله قائلاً: قد نرى المجنون يُصرع في رمضان؟ فقال له الإمام: هكذا جاء الحديث، ولا تكلّم في ذلك. وهذه حَيْطة من الإمام أحمد وورع[٢] منه (رحمه الله) حيث لا يتأوّل حديثًا إلّا إذا تأوّله السلف[٣].

۞ ۞ ۞

---

(١) المُشْكِلُ: المُلْتَبِسُ. و- (عند الأصوليين): ما لا يُفهم حتى يدل عليه دليل من غيره. (المعجم الوجيز).

(٢) الورع: ترك ما يُخشى ضرره في الآخرة. والحيطة: أن يأخذ الأمور بأوثق وجوهها.

(٣) وانظر مصائب الإنسان - ص (١٤٤).

حُكْمُ تَعَلُّمِ السِّحْرِ

«تعلُّم السِّحْر وتعليمه حرام على الصحيح، والصواب عدم جواز تعليمه لكل أحد يريد تعلُّمَه. وقال القاضي حُسَيْن، وإبراهيم المرُّوذيّ:

إن كان في تعليمه ترك طاعة لله (عزّ وجلّ)، فلا يجوز، وإن لم يكن، فإن قصد بتعلّمه دفع ضرر سِحْر الناس عن نفسه جاز، وإن قصد بتعلُّمه أن يسحر الناس لم يجز».

والخلاف فيما إذا كان لا يتوقف على اعتقاد كفر، أو مباشرة محظور، كترك صلاة وغيرها، أمّا إذا توقّف على ذلك، فتعلّمه حرام بالإجماع؛ لأن السِّحْر من الكبائر.

ومذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد أن الساحر يكفر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾؛ لأنّهم إنما نسبوا سليمان (عليه السلام) إلى السحر، لا إلى الكفر؛ ولقوله تعالى حكاية عن الملَكَيْن: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

ومذهب الشافعي أنه لا يكفر إلّا أن يكون في السِّحْر قول أو فعل يقتضي الكفر.. قال الرافعي: ومن اعتقد إباحته فهو كافر.

وقال ابن الصّباغ: إن اعتقد التقرّب إلى الكواكب السبعة، وأنها تُجيب إلى ما يقترح منها، فهو كافر. وعن القفّال أنه لو قال: أنا أفعل السِّحْر بقدرتي دون قدرة الله تعالى، فهو كافر، ولو تاب الساحر قبلت توبته عند الشافعي، رحمه الله. وقال مالك (رحمه الله): السحر زندقة، فإن قال: أنا أُحسن السِّحْر قُتل، ولا تقبل توبته. كما لا تقبل توبة الزنديق. وعن أبي حنيفة (رحمه الله) مثله»[١].

---

(١) وانظر حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٢٦٠)، ط الخامسة.

وقال الشافعي فيما نقله عنه صاحب [معارج القبول] ما نصه[1]:

إذا تعلّم السّحر قلنا له: صِفْ لنا سِحْرك، فإن وصف ما يُوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرّب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يُلتمس منها، فهو كافر، وإن كان لا يُوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته، فهو كافر. اهـ.

وهذا القول قريب الصلة مما قاله ابن الصّباغ، وقد ذُكر.

وجاء في كتاب [فتح المجيد] ما نصه[2]:

واختلفوا، هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهبت طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، رحمهم الله. قال لأصحابه: إلّا أن يكون سِحْره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضرُّ فلا يكفر. اهـ.

ثم نقل صاحب [فتح المجيد] نص الشافعي السابق.

فخلاصة ما سبق من كلامهم، أنه لا يكفر بسحره إلّا إذا كان فيه ما يُوجب الكفر من اعتقاد باطل وغيره، كالاعتقاد بأن النجوم تنفع أو تضرّ، أو أن لها تأثيرًا لذاتها، وكذا يكفر إذا تضمّن سِحْره عبادة لغير الله، أمّا إذا خلا سِحْره من هذا وأمثاله، كأن يكون سِحْره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضُرّ فلا يكفر، كما قال العلماء، وإنما يكون قد فعل ما هو محرّم في دين الله تعالى، فإن اعتقد حِلَّه، فهو كافر أيضًا.

ومما يكفر الإنسانُ بفعله إهانة المصحف الشريف، والتلاعب به على سبيل الاستهزاء بآياته والسخرية بما فيه، وهذا كفر أكبر، يُخرج صاحبه من الملّة، عياذًا بالله من ذلك. بل اتفق المسلمون على أن مَنْ استخفّ

---

(١) وانظر معارج القبول - ط الأولى ص (٤٥٢) من الجزء الأول.

(٢) وانظر فتح المجيد - ص (٢٨٦)، نشر دار الفكر - بيروت، لبنان.

بالمصحف مثل أن يُلقيَهُ في الأماكن القذرة، أو يركضه برجله إهانةً له - كافرٌ مُباح الدم.

ومن العجيب أن نرى بعض المعالجين يضع - عند العلاج - مصحفًا فوق عين المريض أو المريضة، ويضع آخر فوق السرّة، وآخر فوق الفَرْج، ويدّعي أن هذا علاج ووقاية للمريض، خوفًا من أن يفقأ الجنيّ عين المريض بخروجه منها. وهذا الذي يقولونه من الجهل العظيم الجسيم، ومَنْ يفعله فهو على شفا جُرُف هارٍ يكاد يقع به في جَهنم، نعوذ بالله من الجهل وأهله!

ثم اعلم أن هذا الذي نقلناه لك من كلامهم في حكم تعلُّمه - لَمن الأدلة القاطعة على اضطرابهم في تعريفه ومفهومه، فهم يقولون: إذا كان في سحره ما يُوجب الكفر، ومعنى هذا أن هناك سِحْرًا لا يُوجب الكفرَ، وهذا النوع ليس هو المقصود في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

ثم يقولون في هذا النوع: فإن اعتقد فاعلهُ إباحته فهو كافر. وذلك لأنه اعتقد حِلّه وهو حرام، فهو في ذلك كمن اعتقد إباحة الزنا مثلًا، وقد أجمع علماء الإسلام على أنّ مَن استحلّ حرامًا معلومًا بالضرورة فهو كافر، إلّا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ في بادية بعيدة أو نحوه ممن يخفى عليه، فإنه لا يُحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول(١).

وهناك طائفة تقول: إن السحر إذا فرّق بين المرء وزوجه فهو كفر، سواء أكان فيه ما يوجب الكفر أم ليس فيه ما يُوجِبُه؛ لأن الآية التي في سورة البقرة قد نصَّتْ عليه.

ونخرج من المعاني السابقة بالتالي:

أولاً: السّحر من حيث الكفر وعدمه:

السِّحر إذا كان فيه اعتقاد يُوجب الكفر، فهو كفر. وإذا كان خاليًا مما

---

(١) وانظر شرح مسلم (١/ ١٥). ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٤٠٧).

يُوجب الكفر، فله حالتان:

إحداهما: أن يُفرّق به بين المرء وزوجه، فهذا كفر لنص الآية التي في سورة البقرة.

والثانية: أن يضرّ به بنوع من الضرر دون التفريق بين الزوجين، فهو حرام، وليس كلُّ حرام كفرًا، فمن اعتقد إباحته فهو كافر. والله أعلم.

ثانيًا: **تعلُّمه وتعليمه من حيث الحُرْمةُ وعدمها:**

لتعلُّمه وتعليمه صورتان:

إحداهما: نظرية خالصة، وذلك كتعلُّمه عن طريق القراءة فحسب، من باب:

عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكنْ لتوقِّيه
ومَنْ لا يعرفُ الشرَّ مِنَ النَّاسِ يقعْ فيه

فأنت حينما تقرأ مثلاً بابًا يقول: اكتب هذه الآية بماء النجاسة (عياذًا بالله من ذلك) دون أن تُمسك بقلم وتكتب هذا، فهل هذا حرام؟ بالطبع لا، ومع ذلك فهو تعلُّمٌ نظري خالص، ولعلَّ هذا مقصود الإمام الدميري من قوله الذي عرضناه أوَّل الفصل: «والصواب عدم جواز تعليمه لكل أحد يريدَ تعلُّمَهُ». فهو كما ترى يُجيزُ تعلُّمَهُ نظريًا بالطبع؛ لأنَّ هذا ما يجمل بعالم مثله، ولكنه في الوقت نفسه لا يُجيز تعليمه لكل أحدٍ يريد تعلُّمَهُ، فربما تعلَّمه رجل أو امرأة فيهما من ضعف النفس، وضعف التوحيد - ما يجعلهما يقومان به بعد تعلُّمِهِ نظريًا. وإنما حملتُ مقصوده على التعليم النظري دون العمليّ التطبيقيّ، لتسجيله أنَّ تعلُّمَ السِّحر وتعليمَهُ حرام على الصحيح، ثم قال: والصواب عدم جواز تعليمه لكل أحد يريد تعلُّمَهُ. ولو أنك تسرّعت في فَهم هذا التعقيب منه، لرأيتَ التعقيبَ نَقْضًا لما قرَّرَهُ قبله، وليس كذلك، ولو أنك تمهَّلت في فَهمه جيدًا، وهضمت ألفاظه، ورفعت النِّقاب عن معانيه، لأدركت

أنه يجعل للتعلُّم والتعليم صورتين: نظريّة خالصة، وعمليّة تطبيقيّة، فالإقرار الذي سجَّلَهُ يشمل العمليّةَ التطبيقيّةَ دون قيد. ويشمل النظريّةَ الخالصةَ إذا خِيف من تعلُّمه أو تعليمه الوقوعُ في حيّز التنفيذ، فإن أُمن هذا، وكان التعلُّم أو التعليم النظريّان للعلم والإحاطة فحسب، فلا ضَيْرَ منه، وهذا واضح، والحمد لله.

ثانيتُهما: عمليّة تطبيقيّة، وذلك كالقيام بكتابة القرآن - كما مثَّلْنا - بماء النجاسة، فهذا وإن كان تعليمًا إذْ لم يشتمل على اتفاق بين الساحر والشيطان - حرامٌ بالإجماع، لا فرق في ذلك بين من تعلّمه ليكون ساحرًا، ومن تعلّمه ليقدر على دفعه، بل هو في هذه الحالة التي مثَّلْنا بها كُفْرٌ صريح، لما فيه من الاستهانة بكتاب الله سبحانه وتعالى، وهو كُفْرٌ أكبر مُخرج لصاحبه من الملَّة. أمّا إذا كان تعلُّمه أو تعليمه العمليّان التطبيقيّان يقتضيان القيامَ بالزنا مثلاً. وقع الفاعل في حَلَبة الكبائر دون الحكم عليه بالكفر، وإن كان الإيمان منفيًّا عنه وهو يزني، وهذا واضح أيضًا، وهو تقسيم بديع يوضّح لنا التعقيب الذي عقّب به الإمام الدميري بعد هذا الإقرار الصريح. فاللهم لك الحمد.

۞ ۞ ۞

احْذَرُوا هَذا المدْخَل

بعض مَنْ يقومون بالمعالجة يستخدم في معالجته بعض أنواع البخورات الطيِّبة، وإذا سألت في ذلك يقول: إن الجن الكافر لا يُحبّ الروائح الطيّبة، وأنا أُضايقه بتلك الروائح حتى أجبره على أنْ يترك الجسد الذي هو فيه، والجن المسلم تنجع معه المواعظ بخلاف الجن غير المسلم، فقد تنجع معه المواعظ وقد لا تنجع، الأمر الذي يجعلنا نضايقه بكل وسيلة ممكنة، ما لم تكن مخالفة للشرع.

قلت: ولكنا نجد أُناسًا يسخطون على هذه الطريقة، ويعدّونها من الخُزَعْبِلات، وأنا لا أراها كذلك، فهي كالمسك الذي يُستخدم للغرض نفسه، فهل استخدام المسك لا يجوز(؟!) ولكن الأمر لم يقف عند حدٍّ معيّن فيما يُستحْدَث في بعض أنواع العلاجات الرُّوحانيّة، وأخذ المعالجون يبتكرون في المعالجة أساليبَ لم تكن موجودة من قبلُ.

ومن تلك الابتكارات التي قرأتُها في كتاب من كتب المعالجة طريقةُ الكشف بالنظر، وهي أن ينظر المعالج في عين المريض أو المريضة، وهو يقرأ آية الكرسي ثلاث مرّات متواليات، والمؤلف يرى أن هذه الطريقة من أنجح الطرق التي استخدمها هو في الكشف، وليس لغيرها من أساليب الكشف مثلُ ما لها من تأثير، ثم أُفاجَأ بأن المؤلف قد أخذ طريقته هذه من المارد[١] الفلانيّ الذي قال له:

إن العين نافذة على العالم الطبيعيّ.

---

(١) المارد: هوَ من بلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصِّنف. (القاموس المحيط).

قلت: وما أعرفه أنا عن قوله: «نافذة على العالم الطبيعيّ» - أنه يُشبه اسم برنامج يُعرَض على الشاشة الصغيرة، فإن كان المارد يريده فضرُّه أكبر من نفعه، وإذا كان يريد نافذة أخرى غير هذه، فلسنا على معرفةٍ بها. **ولست أريد بهذا الكلام استهزاء** أو سخرية بالمؤلف (حاشَ لله) وإنما أردت أن أبيّن أن بعض المعالجين يُصدّقون كلّ ما يُقال لهم، فيُهرعون إلى تنفيذه ونشره دون ضابط يضبطه، أو قاعدة تحكمه، فيقع بذلك ما لا تُحمد عُقباه. فطريقة المؤلف لم تُحدّد إلى من ينظر، أإلى الرجل أم إلى المرأة، أم إلى الفتاة الصغيرة، أم إليهم جميعًا، الأمرُ الذي يجعل القارئ يقوم بدوره، فيستخدم طريقة النظر، فينظر في أعين النساء المريضات، فبَدَلاً من أن يُعالج المريضةَ ممّا ألَمَّ بها من مسّ أو سِحْر، يجد نفسه في أمسّ الحاجة إلى مَنْ يعالجه هو ممّا ألَمّ به من أثر تلك النظرة، فيُمسي المسكين مُصابًا بالنظرة المُبتكرة، فيحتاج إلى مَنْ يرقيه منها.

وليس من شكٍّ أن النظرة بتلك الطريقة المُبتكرة سهم مسموم(١) لا يكاد يُخطئ الفؤاد، خصوصًا إذا كانت عيون المنظور إليها خضراء أو زرقاء، ممّا يجعل السُّمَّ الذي في السهم ملوّنًا، وللسمّ الملوّن تأثيرٌ عجيبٌ في القلوب، لا يُدْرِكه إلا العاشقون، فيموت مِن المعالج المسكين قلبُهُ، وتُسمّى تلك الموتة، بموتة السُّمّ الملوّن، **وهي موتة مشهورة في سجلّ العاشقين**. نعوذ منها بربّ العالمين.

هذا، وقد وقف الدكتور محمد إسماعيل «وقفة مع الجن» ملأ خلالها

---

(١) أُشير إلى حديث رواه الإمام أحمد، نصُّه: **«النظر إلى المرأة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركه من خوف الله (عز وجل) أثابه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»**.
وما كان أصدق الشاعر حيث قال:

نَظَرُ الْعُيُونِ إِلَى الْعُيُونِ هُوَ الَّذِي ... جَعَلَ الْهَلاكَ إِلَى الْفُؤادِ سَبِيلا
ما زالَتِ اللَّحَظاتُ تَغْزُو قَلْبَهُ ... حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلا

بصوته أربعة من أشرطة[١] الصوت «الكاسيت»، وهي من الوقفات الممتعة حقًّا، وقد وجّه من خلالها نقدًا بنّاء إلى تلك النظرة المُبتكرة في عُجالة سريعة، ولكن تبيّن لي من خلال ما قاله فيها أنه يدعو إلى ترك المعالجة تركًا مُطلقًا، فهو يرى أنها مشغلة وتضييع للوقت والجهد، ولست أشكّ أن تلك الوقفة التي وقفها الدكتور ما كانت إلّا من أجل الدعوة إلى ترك المعالجة، **ولست معه فيما دعا إليه**؛ لأن تركها سيفتح الباب واسعًا أمام السحرة والمشعوذين ليتلاعبوا بأصحاب النفوس الضعيفة من الناس، ثم أين الحديث الذي يقول:

«من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعْهُ»[٢] ولو أنه اقتصر على نقد ما يخالف الشريعة الإسلامية في معالجتهم، لكان قد أنصف، ولعلّ الذي حملَهُ على أن يدعو إلى تركها تركًا مُطلقًا، هو ما يقع فيه بعض المعالجين بالقرآن من أخطاء ومبالغات، وتضييع لغالب أوقاتهم، ومثل هذا لا يُعالج بترك المعالجة كما توهّم الدكتور، **وما أرى تركها إلّا مشكلة** أخرى ستحتاج إلى وقفة كالتي وقفها الدكتور مع الجن في أشرطته الأربع، والذي أراه أنا في هذه المسألة هو أن يُراقب المعالج ربَّهُ، وأن يحذر من أن يدخل عليه الشيطان من باب المعالجة، فيُلبّس عليه الحقّ بالباطل، فيرى المعالج الحق باطلاً، والباطل حقًّا، عياذًا بالله من ذلك.

فمسألةٌ كالنظر في عين المريضة مثلاً - لا غبار عليها من حيث المبدأ[٣]، بشرط أنْ تُوضع لها قوانين تحكمها وتنظّمها، وهذا ما لم يفعله مَنْ قال بها،

(١) العامّة تقول: شريط وأَشرطة، كرغيف وأرغفة، فارتضيت هذا الجمع، وإن كان الشريط يُجمع على شُرُط وشُرْطَان. كصليب وصُلُب وصُلْبان.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ١٨٦) والتي بعدها.

(٣) من باب الضرورات [قد] تبيح المحظورات، وفي المسألة تفصيل ليس هذا موضع بسطه، فليراجع باب الطب في كتب السنة، وخصوصًا كتاب البخاري.

فالنظر في عين المرأة البالغة ليس سهلاً كما رآه مَنْ قال بهذه الطريقة، بخلاف النظر إلى الفتاة الصغيرة مثلاً أو في عين الرجل، **هذا كله إذا سلّمنا لقائلها بما تحدثه من تأثير** يجعل أو يُجبر الجنّ على النطق أو الخروج، فالمسألة لم تزل محل بحث، المهم أن **المعالجة قد تكون بابًا ومدخلاً خطيرًا من مداخل الشيطان**، فليحذر المعالجون هذا المدخل. والله المستعان.

فيا عالمَ الأسرارِ علمَ اليقين، يا كاشفَ الضُرِ عن البائسين، يا قابلَ الأعذارِ، عُدنا إلى ظِلّك فاقبلْ توبةَ التائبين!

وبتلك الدعوات أكون قد أنهيت ما أردتُ اختصارَهُ في هذا الموضوع، وإنّي لأرجو أن أكون قد استطعت أن ألمس بعض النقاط المهمّة والأساسية فيه، وأنْ ألقيَ عليها الضوء، حتى نستطيع أنْ نضع النقاط على الحروف في مسألة دهمت الناس فجأة، وكُتِبتْ فيها المؤلفات والرسائل، فاللّهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، فما أُريد إلّا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلّا بالله، وقد فرغت من تحريرها بحول الله وقوّته صباح الثامن عشر من جمادى الأولى، سنة ألفٍ وأربعمائة وتسع عشرة للّهجرة، الموافق للتاسع من سبتمبر، سنة ألف وتسعمائة وثمانٍ وتسعين للميلاد، فاللهَ أسألُ أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، لأنجوَ بها من عذاب الجحيم، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

تنبيهٌ: إنه ليسعدني أن أتلقّى استفسارًا عن شيء ممّا ورد في هذه الرسالة، أو ردًا على فصل فيها أو جزئيّة منها؛ وذلك لإقرار ما يستحقّ الإقرار، واستبعاد ما يستحقّ أن يُبعد، **لكن مع الإدلاء بحُجّة ودليل.**

وهاك عنواني البريدي:

مصر - الجيزة - كرداسة - بريد «أبو رواش» وللاتصال هاتفيًا فعلى رقم: (٣٧٩٨٩٣٢٦).

محتويات الرسالة

۞ ۞ ۞

هذه الرسالة

للحريّة صور كثيرة، منها حرية الرأي، ولحريّة الرأي صور مقبولة، وأُخرى غير مقبولة، ومن تلك الصور المقبولة أنْ يستند فيها الرأي على دليلٍ عقليّ أو نقليّ، أو أنْ يشهد له الواقع، وحرية الرأي في تلك الصورة شمسٌ يجب أن تُشرق في كل نفس، فمن عاش محرومًا منها، عاشَ في ظلمة حالكة يتّصل أولها بظلمة الرَّحِم، وآخرُها بظلمة القبر، ولقد سطعت شمسُ تلك الحريّةِ في نفسي، فانبعثت من شعاعها تلك الرسالة، تحمل عرضًا موجَزًا، وشرحًا مركّزًا، ونقدًا بنّاء لبعض الأحكام المتعلقة بالجن، وما وراء الطبيعة، فإلى من يحترمون حريّةَ الرأي في تلك الصورة أُهدي تلك الرسالة.

المؤلف

